المجمع 16 (2021/1442)، 345-378

الذّاكرة في الخطاب: الأنا والآخر ضمن الخطاب الإعلاميّ

محمد الناصر صديقي[1]

ملخَّص

ربَّما يكون الأمر غريبًا أن نتناول موضوع الآخر في الإسلام، وكيف وُظِّفت الذَّاكرة في الخطاب بين المكوّنَين الأساسيَّين "السُّنة والشِّيعة" باعتبارهما (الأنا والآخر) حسب مرجعيَّات النَّصِّ العقديِّ لكلِّ فرقة، وهو أساسًا من إنتاج وصناعة لفيف من فقهاء وعلماء السَّلاطين بمرجعيَّاتهم المختلفة؛ فالخطُّ الأشعريُّ السُّنِّيُّ باعتباره "الأنا" تكلَّس في ذاكرته عن الآخر الشِّيعيِّ الرَّافضيِّ المجوسيِّ الصَّفويِّ الكثير جِدًّا من روح الكراهيَة الممزوجة بذلك الخلاف الأوَّل في الإسلام، وحتَّى سابق للإسلام بين بني عبد شمس وبني هاشم، وتواصل هٰذا الخلاف في الإسلام بين إجماع موالٍ لمعاوية سُمِّي بشيعة معاوية حسب المِنقري في كتابه الموسوم "وقعة صفِّين"، وبين آخر حمل اسم شيعة علي. واستُحضرت هٰذِهِ الذَّاكرة بخطابها "المشيطِن" لكلِّ خصم، والأخطر أنَّ هٰذا الصِّراع المتأجِّج في أدبيَّات الفرق والتَّاريخ ظلَّت ناره متَّقدة حتَّى عصرنا الحاضر؛ فكلَّما ادلهمَّت الأحداث عملت غرف عمليَّات الفتن على تأجيجها، وكأنَّنا نستحضر يوم السَّقيفة، ويوم الدَّار، والجمل، وصفِّين وكلَّ تلك الأحداث المخضَّبة بدماء الضَّحايا من كلا الطَّرفَين. خطاب الذَّاكرة على صناعة عدوٍّ، والأغرب أنَّ المؤسَّسات الصَّانعة للآخر المتخيَّل اجتهدت في استحضار هٰذِهِ الذَّاكرة والآخر في المتخيَّل. ففي الفترة الحديثة كلَّما تأزَّمت العلاقات بين النِّظامَين الإيراني والسُّعودي يعمل كلُّ طرف على توظيف الفضائيَّات بخطابها التَّصعيديِّ الإلغائي. فيصبح السُّنَّة عند الشِّيعة هم قتلَةَ الحسين والغادرين بأبيه والنَّاكثين لبيعته يوم غدير خُمّ، وأمَّا الطَّرف السُّنِّيُّ فيجعل من قضيَّة مقتل عثمان وشتم الصَّحابة وأمِّ المؤمنين قضيَّته الأساس، متناسين أنَّ أصل المشكلة سياسيٌّ ولا علاقة له بالمقدَّس الدِّينيِّ. وتوظيف الذَّاكرة في هٰذِهِ الأحداث والصِّراعات يزيد من إذكاء نار الفتن ويطيل العمر الافتراضيَّ للأزمات خاصَّة بعد أن تأخذ بعدًا قدسيًّا، وَهٰذا الخطاب المدغدغ للمشاعر يجعل من العامَّة عبر وسائل الإعلام منحازة لأنظمتها ومتحالفة مع فقهاء السُّلطان بغضِّ النَّظر عن أصل

[1] المعهد العالي للعلوم الإنسانية بجندوبة – تونس.

المشكلة السِّياسيّ، وهٰذه الحرب الإعلاميَّة كانت أرض سوريًا مجالًا خصبًا ومرتعًا لها خاصَّة أنَّ مكوّنات الشَّعب السُّوري طائفيَّة مركَّبة من سبع عشرة طائفة.

وهٰذه الورقة بما تطرحه من مشكل توظيفيّ للمقدَّس الدِّينيّ في خطاب الذَّاكرة عبر الإعلام الفضائيّ بأمثلة تابعتها عبر عيّنات شعبيَّة متابعة للفضائيَّات الدِّينيَّة والسِّياسيَّة (تونس، مصر، الجزائر، العراق، سوريًا، ليبيا) وغيرها من القنوات والدُّول العربيَّة والإسلاميَّة سواء في البرامج الدِّينيَّة، أو السِّياسيَّة أو حتَّى التَّاريخيَّة في قناتَي "الكوثر" و"اقرأ".

فما هي أدوات وآليَّات عمل هٰذِهِ القنوات في توظيف خطاب الذَّاكرة في أتون الصِّراعات؟ وكيف أسهم الخطاب الإعلاميُّ في نشر ثقافة الكراهيَة وتبرير العنف الطَّائفيّ؟ ما هي أبرز النَّتائج المنبثقة عن استمراريَّة توظيف وشيطنة الآخر المختلق عَبر هٰذا الخطاب؟

المقدّمة

يُعدُّ ما واجهته المنطقة العربيَّة من أحداث ومشاكل منذ سنة 2011 وحتَّى الآن أكثر من غريب، خاصَّة كيف نجحت وسائل الإعلام لكلا المكوّنَين الأكبر في الإسلام (السُّنَّة/ الأشاعِرة/ الشِّيعة الإماميَّة) بالعودة إلى استحضار خطاب الماضي لتأجيج نار الصِّراعات الَّتي سببها سياسيٌّ، أخذت لبوسًا مذهبيًّا وطائفيًّا خضَّبته الدِّماء، وزادت تأجُّجًا بتلك الفتاوى الإقصائيَّة بين فرقاء الإسلام الاجتهادي. فربيع العرب والحرِّيَّات ومشاكل تلك الشُّعوب الرَّاضخة للاستبداد السِّياسي والقمع، تحوَّلت في زمن وجيز وغير مسبوق إلى مطالب بعودة الخلافة ومثاليَّة الحكَّام وتحكيم النُّصوص الدِّينيَّة المقدَّسة ودعم النَّقل وتغيب العقل، بل اعتبار كلّ رأي مخالف لجمهور دعاتهم نابيًا ومقصيًّا ومخالفًا للشَّرع كما يفسِّرون. والأغرب من كلّ ذٰلِكَ توظيف الخطاب الطَّائفي في أبسط خلاف سياسيّ، فأحداث سوريًا والعراق وأزمات لبنان الدَّاخليَّة أسقطت ورقة التُّوت عن كثير من السِّياسيِّين ومحازبيهم من الأكاديميِّين ورجال الدِّين الموظّفين لهٰذه الأغراض. ربَّما كانت المنطقة العربيَّة في منآى عن هٰذِهِ الصِّراعات والمعارك الافتراضيّة لعدوٍّ أو خصم "مختلق"، لٰكِنَّ البيئة الشَّعبيَّة استبيحت فضائيًّا بخطاب دينيّ اعتبره كثير من السَّاسة أو الغلاة وغيرهم إعادة لأسلمة المنطقة الَّتي

تعاني من التَّغريب، وضرب الهويَّة فزجَّ بها في خطاب تكفيريٍّ للآخر في الإسلام، والأغرب من هٰذا كيف دخلت القنوات الفضائيَّة غير الدِّينيَّة كالجزيرة والعربيَّة في لعبة الخطاب الطَّائفي، ونفس الحالة نجدها في المعسكر المقابل كقناة "العالم" وعديد القنوات العراقيَّة ذات نفس التَّوجُّه والمرجعيَّة الحزبيَّة.

وبالعودة لاستحضار خطاب المِلَل والنِّحل عند شيوخ الإعلام الفضائي، فإنَّه ليس منطقيًّا أن نعمِّم، أو نُطلق أيَّ وصف عامٍّ تجاهه، خاصَّة وأنَّ في بعض هٰذا الإعلام الفضائي الدِّيني نجد خطابًا تنويريًّا.

أمَّا في الخطاب الطَّائفي التَّحريضي المبشِّر بثقافة الكراهيَة والعنف، فهو موضوع هٰذِهِ الدِّراسة: الأنا (السُّنِّي الأشعري) والآخر (الشِّيعي/ الإمامي). وقد أصبح قاسمًا مشتركًا في سياسة غالبيَّة الإعلام الفضائي بمنطقة الخليج العربي/الفارسي وبقيَّة دول الشَّرق الأوسط، وقد أثَّرت هٰذِهِ السُّموم الإعلاميَّة في مناطق أخرى، حيث بدأت تجتاح منطقة المغرب العربيّ، فالخطاب الدِّيني الَّذي تكلَّس في أدبيَّات الفِرَق أعاد بعض الإعلام استحضاره وتوظيفه في أزمات ومشاكل المنطقة العربيَّة.

فالمجوس الَّذين اعتبرتهم مواقف النَّبيّ والخلفاء الرَّاشدين أهل الذِّمَّة أصبحوا كفَّارًا ومشركين ومعاول هدَّامة للإسلام، كما يسوِّق شيوخ الفضائيَّات من الخطِّ السَّلفي، روح الحقد والبغضاء الَّتي يغذُّونها ويشعلون وقود نيرانها حتَّى أصبح من الصَّعب إخمادها. فقد أخرجوا من بواطن المصادر القديمة أحداثًا لذٰلك الخلاف التَّاريخي بين الفرعَين الكبيرَين لقريش وبني عبد شمس وبني عبد المناف، أي الهواشم وبني أميَّة، بل أعادوا رسم مشهد يوم الدَّار حين قتل الشَّيخ المُسنُّ الخليفة الثَّالث عثمان بن عفَّان، أو وقائع الجمل وصفِّين وكربلاء. وأصبحت كلمة شيعة شتيمة لمعتنقي الخطِّ السِّياسي لعلي عِلمًا أنَّ "المِنْقري " في مصنَّفة "وقعَة صفِّين" كان قد أشار إلى شيعة علي، وشيعة معاوية وأنَّ الولاءات كانت سياسيَّة لأطراف صفِّين وليس لها بُعد عقديٌّ على الإطلاق. لذٰلك لا نستغرب أنَّه كلَّما خاضت خصومات السَّاسة استحضر المقدَّس الدِّيني بقوَّة مع فوران للإعلام الدِّيني غير المنضبط،

وغير المؤطَّر بعيدًا عن قيم المنافسة لسوق الثَّقافة خاصَّة في هٰذِهِ المرحلة الأشدِّ حساسيَّة بين المكوِّنات الاجتماعيَّة والثَّقافيَّة. فعدد القنوات الفضائيَّة الدِّينيَّة ضخم جدًّا ومادَّته تحتاج إلى رقابة شديدة، وأصبح هٰذا الإعلام الدِّيني سيفًا تخريبيًّا لتعايش تجاوزَ عشرات القرون. والأخطر أنَّ الإعلام الفضائيَّ الدِّينيَّ كلُّ ما ألمحنا في استحضار مادَّة إعلاميَّة تكلَّست في بواطن المصادر لذٰلك الموروث السِّياسي والفكري، لذاكرة تتكيَّف وتستحضر بسهولة في خطب الفقهاء ودعاة الفضائيَّات، وما سبَّبته من تطاحن وكراهيَة وتجاوز هٰذا الخطاب العامَّة، وأشباه المثقَّفين ليكتسح الوسط الأكاديميَّ، حتَّى أصبحت عند البعض دراسة مذاهب أو فلسفات مجموعات تاريخيَّة بأيِّ مقاربة علميَّة كانت محلَّ اتِّهام لصاحبها.

- فما هي أبرز نتائج شيطَنة الآخر المُتخلِّف عبر هٰذا الخطاب؟
- ولماذا استحضر خطاب الكراهيَة إعلاميًّا؟

I. الأنا: (السُّنَّة/ الأشعريَّة): ضمن مرجعيَّات وفَلك السُّلطة: محطَّات الإئتلاف والاختلاف

في هٰذِهِ الورقة العلميَّة لمباحث حسَّاسة أثارت ماضيًا وحاضرًا لغطًا كثيرًا وما زالت؛ خاصَّة أنّ مسألة كتابة التَّاريخ وأحداثه قد كتبت منذ بدايات التَّدوين، لٰكنَّ إعادة قراءة لأحداثه تحتاج منَّا الكثير من الجهد والصَّبر والنَّفَس الطَّويل، فما كُتب قد كُتب، لٰكنَّ التَّمحيص والتَّدقيق يحتاج لعمل جدِّيٍّ عابر لكلِّ المجموعات التَّفكيريَّة والكلاميَّة في الإسلام الاجتهادي، لذٰلك ستكون قراءتنا للأنا الَّذي يمثِّل الجمهور على قول الفقهاء (أي الأغلبيَّة) الَّتي مثَّلتها كلُّ المكوِّنات المذهبيَّة الأشعريَّة/السُّنِّيَّة، فالأنا هم الأغلبيَّة السُّنِّيَّة، وكيف وظفَّت التَّاريخ وأحداثه في فرض شرعيَّتها سواء في ذٰلِكَ الَّذي حدث في سقيفة بني ساعدة، أو في مناقشات وملابسات الأحداث وتطوُّراتها وما أفضت إليه مبايعة أبي بكر الصِّدِّيق للخلافة، وإقصاء بقيَّة الأطراف من بينهم ختن النَّبيِّ محمَّد، وابن عمِّه عليٌّ بن أبي طالب القائم حينها على

تجهيزه ودفنه[2]، وهٰذه بداية للمحازبة الأولى والاختلاف السِّياسيّ في الإسلام المبكّر، مثّلت قريش السُّلطة أو " الأنا"، بينما كان بنو هاشم وتحديدًا آل البيت النَّبويّ يمثّلون "الآخر"، وبعد تلك الحرب الأهليَّة الَّتي عُرفت بالفتنة الكبرى[3] كانت تلك المحازبات الكبرى وما سبَّبته من تقسيم سياسيّ أخذ طابعًا مذهبيًّا لاحقًا فدخلت كلمة "شيعة" للمعجم السِّياسي الإسلامي، وحسب بواكير المصادر فإنَّ هٰذا المصطلح السِّياسي كان يشمل طرفَي الحرب الأهليَّة (الفتنة)، شيعة عليٍّ، وشيعة معاوية[4] وحسب تطوُّرات أحداث التَّاريخ أصبح خطُّ معاوية يمثِّل "الأنا" وعمل هٰذا الخطُّ على شيطنة "الآخر" في بدايات التَّشكُّلات الحزبيَّة السِّياسيَّة في الإسلام المبكّر. وكثيرة تلك التَّشويهات الَّتي أثارتها ألسِنة الرُّواة والمحدِّثين والَّتي تحتاج منَّا لمزيد من التَّعمُّق والتَّدقيق وإعادة قراءة جادَّة للتَّاريخ من جميع المكوِّنات الثَّقافيَّة الإسلاميَّة.

والجرأة العلميَّة تتطلَّب معرفة دقيقة ومسؤوليَّة تجمع بين أخلاق الباحث وعمق المعرفة وصرامة المناهج بعيدًا عن الولاءات، وتتطلَّب أيضًا نزاهة وتوثيقًا علميًّا دون إقصاء، دون أحكام مسبقة للشَّيطنَة. فموضوع الشِّيعة والسُّنَّة فيه الكثير من اللَّغط.

فالخلاف الَّذي تكلَّس في ذهنيَّات 'الإجماع' الإسلامي تجاوز ما هو سياسي، وأصبحنا نطرح سؤالًا" هل السُّنَّة والشِّيعة مذهبان أم ديانتان؟"[5]. ومن قصص الخلاف المستشري طائفيًّا بين المكوِّنات الإسلاميَّة أنَّها تسافر معهم حتَّى في أمصار غيَّبت الدِّين والمقدَّس عن مجتمعاتها،

---

[2] الطَّبري، تاريخ الطَّبري، تحقيق أبو الفضل إبراهيم. ج.3. (القاهرة: دار المعارف، 1968)، 203-204-211-223-258.

[3] هشام جعيط، الفتنة: جدليَّة الدِّين والسِّياسة في الإسلام المبكّر، ترجمة خليل أحمد خليل (بيروت: دار الطَّليعة، 1995).

[4] نصر بن مزاحم المنقري، وقعة صفّين، تحقيق عبد السَّلام محمَّد هارون (د.م.: منشورات مكتبة المرعشي النَّجفي، قمّ 1382ه).

[5] لويس صليبا، السُّنَّة والشِّيعة، مذهبان أم ديانتان: بحث في الخلافات بينهما لا سيَّما في المتعة (جبيل لبنان: دار ومكتبة بيليون، 2015).

من ذٰلِكَ الحراك الحادُّ والطَّائفيُّ بين المهاجرين المسلمين في مدينة "ديترويت" حول علي وعمر، ممَّا جعل بعض الأمريكيّين يسخر متسائلًا عن علي وعمر: "هل هما يتنافسان الآن على رئاسة الحكومة عندهم كما تنافس ترومن وديوي عِندنا" فردَّ عليه الباحث العراقي علي الوردي (ت 1995م):" إنَّ عليًّا وعمر كانا يعيشان في الحِجاز قبل 1300 سنة، وهٰذا النِّزاع الحالي يدور حول أيّهما أحقُّ بالخلافة!". فضحك الأمريكي من هٰذا الجواب حتَّى كاد يستلقي على قفاه وضحكت معه ضحكًا فيه معنى البكاء وشرُّ البليَّة ما يُضحك[6]". وحتَّى نضع كلَّ هٰذِهِ المصطلحات الَّتي دخلت المعجم السِّياسي الإسلامي في سياقها اللُّغويّ ومرجعيَّاتها، سنذكر مفهوم كلٍّ من الشِّيعة السِّياسيَّة والسُّنَّة السِّياسيَّة بشكل مقتضب دون الخوض في التَّفاصيل.

1. كلمة شيعة في الأصل: مصدر مبنيٌّ على النَّوع، ويقع على الفرد أو الاثنين أو المجموعة، ويذكَّر ويؤنَّث بلفظ واحد، من قولهم شاع فلانًا شيَّع وشياعًا إذا تبعه. ولمَّا كان أفراد من الصَّحابة كأبي ذرٍّ الغِفاري (ت 32هـ/655م) وسلمان الفارسي (36هـ/659م) وعمَّار بن ياسر (37هـ/660م) والمِقداد بن الأسود، كان يقال لهم شيعة وأصحاب علي[7]". إذن فالشِّيعة مذهب استمدَّ شرعيَّته من الحراك السِّياسيّ الَّذي حدث منذ نبأ وفاة النَّبيّ محمَّد، وبالتَّالي فإنَّ أصل التَّسمية يعود إلى ذٰلِكَ الاصطفاف السِّياسي الَّذي أفرزته السَّقيفَة ودار فاطمة. وصار يقال للفرد القريب من خطِّ عليٍّ السِّياسي "شيعي" نسبة إلى الشِّيعة، ثمَّ طغى هٰذا اللَّفظ لكلِّ موالي لعليٍّ وبنيه، وأقرَّ بإمامته[8]".

---

[6] علي الوردي، مهزلة العقل البشري (لندن: داركوفان، 1994)، 246-247.

[7] أبو حاتم أحمد بن حمدان الرَّازي، كتاب الزِّينة في الكلمات الإسلاميّة العربيَّة، القسم الثَّالث، طبع في آخر كتاب الغلوّ والفرق الغالية في الحضارة الإسلاميَّة، حقَّق هٰذا القسم د. عبد الله سلُّوم السَّامرائي. ط.3. (لندن، بغداد: دارواسط للنَّشر، 1988)، 259.

[8] المظفَّر، محمد حسين، تأريخ الشِّيعة، مراجعة وتحقيق أحمد كاظم البغدادي (قمّ: المكتبة الحيدريَّة، 1433هـ/ 2012)، 29-30.

2. أمَّا فيما يتعلَّق بالمصطلح السِّياسي "السُّنِّي" لغة، بمعنى السِّيرة والطَّريقة ثمَّ أصبح عند المرجعيَّات المتَّبعة للأثر (الحديث) والسُّنَّة في الشَّريعة الإسلاميَّة تكون في الأعمال أي فيما يجب على الإنسان عمله[9]". وتوسَّعت في الاستعمال عند الفقهاء لتشمل كلَّ ما هو مأثور عن النَّبيِّ محمَّد من فعل وقول. وصار المتسمُّون بذلك يسمُّون بأهل السُّنَّة والواحد منهم يُسمَّى "سُنِّي" نسبة إلى "سُنَّة". ويطلق على السُّنَّة أَيْضًا في كثير من الأحيان "أهل السُّنَّة والجماعة"، ثمَّ صار هٰذا الاسم يُطلق على كلِّ غير شيعيٍّ في أكثر المواقع[10]".

وتنافست الفضائيَّات في إخراج حديث الفرقة النَّاجية من بين أكثر من سبعين فرقة إلَّا واحدة في الجنَّة والبقيَّة في النَّار[11]". وهٰذا الحديث غير دقيق ويحتاج لمراجعة رغم انتشاره الواسع في الوسط السُّنِّي/الأشعري بشكل غير عادي، فكثيرة تلك الفرق الَّتي انتهت ثقافيًّا واجتثت بقوَّة الحديد والفتاوى.

وفي عمليَّات حفر تاريخيٍّ للحديث ومدى وثوقيَّته، نجده يعود للقرن الثَّالث الهجري/ العاشر للميلاد.

إنَّ من بين 73 فرقة هناك فرق اختفت من الخارطة المذهبيَّة، واندثرت، بل إنَّ بعض الفرق قد تحدَّت تغيُّرات ومرجعيَّات فكريَّة، فتنسخ من معتقداتها القديمة لتتماشى وتلبس معتقدًا قريبًا من مذهب السُّلطة الرَّسميَّة آنذاك. وربَّما كان لبطش أنظمة الحكم خاصَّة بعد تأسيس المدارس النِّظاميَّة على يد وزير السَّلاجقة نظام المُلك (ت. 485هـ) لفرض التَّثاقف الأشعري، بحدِّ السَّيف في مواجهة المدِّ الفاطمي الشِّيعي (الإسماعيلي)

[9] إبراهيم فوزي، تدوين السُّنَّة (بيروت: دار الطَّليعة، 1995)، 29.

[10] بسَّام الجمل، الإسلام السُّنِّي (بيروت: دار الطَّليعة، 2006)، 10-11.

[11] راجع حديث الفرقة النَّاجية، الإمام أحمد ابن حنبل، المسند، ج.3، 145.

مدعَّمة بكلِّ الوسائل الممكنة (من أوقاف وأُطر تدريس ودعم مالي وسياسي)[12]. وما أفرزته النِّظاميَّة، شخصيَّة الغزالي (ت 505ه) الَّذي كان من المنظِّرين لفكر السُّلطة في بادئ الأمر، حيث كتب مصنَّفًا في الرَّدِّ على المجموعات المذهبيَّة المعارضة للعبَّاسيِّين والأشعريَّة، فبرزت مؤلَّفاته: "إحياء علوم الدِّين"، و "فضائح الباطنيَّة" وهو عبارة عن مزج عقديٍّ سياسيٍّ لبرهنة شرعيَّة الخلافة العبَّاسيَّة السُّنِّيَّة الأشعريَّة في مواجهة الخلافة الفاطميَّة الإسماعيليَّة الشِّيعيَّة وإلزام الرَّعيَّة بطاعة الخليفة العبَّاسي آنذاك الإمام المستظهر بالله[13] والكتاب نفسه حمل اسم هٰذا الخليفة، كتاب المستظهري[14] (487-512ه/1049-1118م) وحول بيان الفِرقة النَّاجية فقد اعتبر الغزالي[15] في كتابه "فيصل التَّفرقة بين الإسلام والزَّندقة جميع الفِرق ناجية وأنَّ الحقَّ يدور في كلِّ مذهب إلَّا الزَّنادقة[16]، وبالتَّالي فإنَّ الزَّنادقة في نظر الغزالي هم أتباع الخطِّ الفاطميِّ الإسماعيليِّ في القاهرة، والمجال الإيرانيِّ في آلْمُوت[17].

وبالعودة لتكلُّس مفهوم الفرقة النَّاجية في الخطاب الدِّينيِّ عند المجموعات الإسلاميَّة، وخاصَّة أتباع الخطِّ الرَّسميِّ الأشعري فإنَّ الغالبيَّة العظمى من الفرق قد اندثرت، إمَّا

---

[12] ابن خَلِّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان، تحقيق إحسان عبَّاس. ج.2. (بيروت: دار الثَّقافة، 1969)، 129; محمَّد النَّاصر صدِّيقي، المدارس النِّظاميَّة: "نموذجًا للتَّعليم المؤدلج في الحضارة الإسلاميَّة"، مجلَّة كلِّيَّة التَّربية، جامعة واسط، العدد العشرون، تمُّوز (جويلية 2015)، 269-271.

[13] أبو حامد الغزالي، (ت 505ه)، فضائح الباطنيَّة، تحقيق محمَّد علي قطب (صيدا، بيروت: المكتبة العصريَّة، 1421ه/2000م)، 153.

[14] محمَّد النَّاصر صدِّيقي، "الغيريَّة المذهبيَّة بعدًا في الثَّقافة العربيَّة الإسلاميَّة"، الحياة الثَّقافيَّة العدد 223، سبتمبر 2011، 216.

[15] تحقيق ومراجعة محمود بيجو، طبعة القاهرة، 1413/1993م.

[16] راجع فيصل، التَّفرقة بين الإسلام والزَّندقة، الفصل الأوَّل، 19-23.

[17] DAFTARY (F….), The Ismaili, Their History and Doctunes, 2nd Ed., (UK: Cambridge university press, 2007), 321.

بالانعزال عن المجموعة أو بالتَّثاقف من خلال العيش المشترك، وتأثير فكرة الأغلبيَّة على ذٰلِكَ "الجوار الأقليَّة" فإنَّ سلخ عديد الفرق "النَّابية" في طرحها لتلبس عباءة الإجماع الرَّسمي في المحيطَين الأشعري السُّنِّي أو الإمامي الشِّيعي.

والسُّؤال الَّذي يطرح أين بقايا فِرَق النَّجدات والأزارقَة والصِّفْريَّة من المجموعات الإسلاميَّة الخوارجيَّة؟ أين القرامطة؟ أين بقيَّة المجموعات الشِّيعيَّة كالنَّاووسيَّة والأفطحيَّة وغيرها؟ ومن فرق الخطِّ الشِّيعي، وإذا عدنا إلى "العلويَّة" الَّتي حملت في تاريخها اسم "النُّصيريَّة"[18]. وهٰذه المجموعة أو الفرقة النَّاجية حسب الإجماع الإماميّ تعدُّ من الغلاة[19] ونفس الشَّيء نجده عند الطَّرف المعارض للإماميَّة من أصحاب المقالات والفرق الأشعريَّة[20] والانتشار العلوي (النُّصيري) في مجال الجبال في الشَّام التَّاريخيَّة (سوريَّا- والمجال الحدودي التُّركي)[21]، وسوف نعرّج لاحقًا على استحضار خطاب وثقافة الكراهيَة بين مكوّنات الإسلام الاجتهادي حسب ميول فقهاء السَّلاطين.

[18] وهم أتباع محمَّد بن نُصير النُّميريّ وهو من أفضل علماء البصرة وَلٰكِنَّهُ ضعيف ووجه الضَّعف في غلوّه كما في نقد رجال (رواية ابن الغضائري (ت411هـ/1021م) نقلًا عن القهبائي، زكي الدِّين المولى عناية الله بن علي (ت.ق. 11هـ/17م)، مجمع الرِّجال، تصحيح وتعليق الحاجّ السَّيِّد ضياء الدِّين أصفهان، 1387هـ/1967م، ج6، ص64، هذا ما ذكرته المصادر الشِّيعيَّة عن النُّصيريَّة والأب المؤسِّس لها، أمَّا عن أدبيَّات المِلل والنِّحل الأشعريَّة (السُّنِّيَّة)، نذكر ما جاء عند الشَّهرستاني (ت 548هـ/ 1153م):

- "من غُلاة الشِّيعة" قالوا بظهور الرُّوحاني بالجسد الجسماني.
- ظهور الحقّ بصورة علي وأولاده، وخصُّ عليٌّ بالظُّهور لتقدُّمه في الفضل" الشَّهرستاني المِلل والنِّحل، تحقيق محمَّد سيِّد كيلاني. ج.1. (بيروت: دار المعرفة، د.ت)، 188.

[19] ابن عبد الجليل (المُنصف)، الفرقة الهامشيَّة في الإسلام (د.م.: المدار الإسلامي، 2005)، 98.

[20] ابن عبد الجليل، الفرقة الهامشيَّة، 98.

[21] محمَّد الناصر صدّيقي، الرُّدود الدُّرزيَّة على النُّصيريَّة، مجلَّة الإنسان والمجتمع تصدرها كلِّيَّة العلوم الإنسانيَّة والعلوم الاجتماعيَّة، تلمسان، العدد السَّابع، ديسمبر 2013، 39-41.

فكثيرة تلك الأسماء والشَّتائم الَّتي يتفوَّه بها شيوخ الفضائيَّات السَّلفيَّة بشكل خاصٍّ، حيث انتشرت بشكل وبائيٍّ: شتائم باسم المجوس والرَّوافض والصَّفويَّة. وأعادوا لنا يوم السَّقيفَة ويوم الدَّار، حيث تمَّ اغتيال الخليفة الثَّالث عثمان بن عفَّان سنة 35هـ والجمَل، وصفِّين وأحداث نجح الإعلام الفضائيُّ العربيُّ بخطِّه السَّلفيِّ في توظيف هٰذا الخطاب في أتون معارك سياسيَّة لا تخدم العيش المشترك بين مكوِّنات البلد الواحد (حال العراق، سوريَّة، المملكة العربيَّة السُّعوديَّة وحتَّى لبنان) حيث أوجدت شرخًا من الصَّعب في هٰذِهِ الظُّروف ترميمه. واستنسخ هٰذا الإعلام شخوصًا مشيخيَّة لبرامجه، فكان الدُّكتور يوسف القرضاوي والضَّابط السُّوري والمعزول عدنان العرعور، ومحمَّد حسَّان وغيرهم. وأجَّج هٰذا السَّعير الإعلامي بفضائيَّات أعدَّت لِهٰذا الغرض في توقيت يحمل أكثر من علامة استفهام. وإذا عدنا لخطاب الفضائيَّات الرَّسميَّة (الموالاة/الأنا) لتقديم شروح توضيحيَّة ذات مرجعيَّة تاريخيَّة لتلك الشَّتائم الَّتي تفنَّن فيها مشايخ الفضاء السَّلفي.

3. الرَّافضة:

في زيارتي العلميَّة إلى دمشق وجدت هٰذِهِ التَّسميات في الوسط السُّنِّي وغير السُّنِّي فقد سمعتها حتَّى من المسيحيِّين عن جيرانهم من الشِّيعة الإماميَّة "أرفاض" ويردِّدونها بدون تمعُّن، لذٰلك نجح شيوخ الفضائيَّات في توظيفها لإذكاء نار الفتنة. وسبب تسميتهم بالرَّافضة يعود لموقف سياسيٍّ وأخلاقيٍّ من زيد بن عليٍّ بن الحسين الَّذي خرج سنة 121هـ وكان خطابه توفيقيًّا بين المكوِّنات السِّياسيَّة الإسلاميَّة الكبرى، فللمرَّة الأولى يخرج من بين الإجماع الشِّيعي شخصيَّة من نسل علويٍّ حاملًا لدماء نبويَّة ينادي بإمامة المفضول مع وجود الأفضل، مشرعنًا خلافة الشَّيخَين أبي بكر وعمر بن الخطَّاب، والقاعدة الَّتي تبنَّتها الزَّيديَّة[22] وأصل كلمة رافضة تعود إلى أيَّام خروج زيد بن عليٍّ بن الحسين على هشام بن عبد الملك:" فطعن عسكره من أهل الكوفة في أبي بكر فمنعهم من ذٰلِكَ فرفضوه". ولم يبقَ

[22] الشَّهرستاني: المِلل والنِّحل، تحقيق محمَّد سيِّد كيلاني. ج.1. (بيروت: دار المعرفة، د.ت.)، 154-157.

معه إلّا مائتي فارس. فقال لم رفضتموني؟ فحملوا هٰذا الاسم من سنة 121هـ إلى يوم النّاس هٰذا[23]". فبرزت كلمة الرّافضة.

4. مجوس:

وهي من الشّتائم المتفشّية في الوسط الإعلامي الفضائي وحتّى العالم السّايْبيري (المواقع الإلكترونيّة ووسائل التّواصل الاجتماعي).

وبالعودة إلى مصطلح المجوس وهو نسبة لأتباع زرادشت الحكيم "نبيّ المجوس" كما تشير المصادر العربيّة[24]، وبالعودة للنّصّ الدّيني الإسلامي الموروث الفقهي، فإنّ المجوس قد ذكر مرّتين في النّصّ القرآني ناهيك أنّ النّبي محمّدًا راسل كِسرى أبرويز سنة 6 هـ، وفيه تصريح ضمنيٌّ بالمجوس كدين[25] ناهيك أنّ النّبيّ تفاوض مع مجوس البحرين، واعتبرهم من أهل الكتاب[26] وفرضَت عليهم الجزية على أن لا تؤكل ذبائحهم ولا تُنكح نساؤهم[27]، وهنا نلحظ كيف عمل الأنا الرّسميُّ بشكل عامٍّ، والخطِّ السّلفيُّ في توظيف هٰذِهِ المصطلحات والأسماء في معاركه الإعلاميّة، وسنمرُّ في القسم الثّالث من هٰذا العمل كيف نجحوا في خلق رأي عامٍّ أسير هٰذِهِ المعلومات الّتي تحتاج للمراجعة وإعادة القراءة من جديد.

---

[23] راجع شروح محمّد جواد مشكور في الملاحق، المقالات والفِرق، 209-210. الشّهرستاني، المِلل والنِّحل، ج.1، 154-155.

[24] أبو حنيفة أحمد بن داود الدّينوري، (ت 282هـ)، الأخبار الطِّوال، تحقيق عبد المنعم عامر (القاهرة: دار إحياء الكتب العربيّة، 1961)، 25. محمّد النّاصر صدّيقي، ميثولوجيا أديان الشّرق الأدنى قبل الإسلام (بيروت: جداول للنّشر، 2014)، 188.

[25] "من محمّد رسول الله الى كسرى عظيم فارس...أسلم تسلم فإن أبيت فعليك إثم المجوس" الطّبري، تاريخ الطّبري، طبعة بيروت، ج.2، 654.

[26] باعتبار كتاب زرادشت الأفيستا (الأبستاق)، كتاب مقدّسًا، الطّبري، التاريخ ج.1، 561. ابن مسكويه، تجارب الأمم، القاهرة، 1332هـ/1914م، ج.1، 53.

[27] البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق صلاح الدّين المنجد. ج.1 (القاهرة: مكتبة النّهضة، د.ت.)، 97.

5. الصَّفويُّون من هم؟

بعد ظهور الدَّولة الصَّفويَّة في المجال الفارسيّ في أوائل القرن 16م بقيادة إسماعيل الصَّفوي. وأعلن عن تشيُّعه الاثني عشريّ، واعتبره مذهبًا رسميًّا للدَّولة مع موروث عقديّ صوفيّ[28] والتَّأثير التُّركماني حاضر بقوَّة في المرجعيَّات الإثنيَّة للصَّفويّين باعتبار تقاربهم القويّ جدًّا مع القبائل البدويَّة التُّركمانيَّة بآسيا الوسطى والأناضول[29].

وبالتَّالي، إنَّ الصَّفويَّة هي ذات مرجعيَّة قبليَّة للحضور التُّركماني السَّلجوقي وهو حضور القويّ فيها، ففي زمن صراعات هٰذِهِ القوى البدويَّة الإسلاميَّة التُّركمانيَّة في الأناضول على المجال المسيحي الأرثوذوكسي. وما تبقَّى لبيزنطة من نفوذ ترابي، كانت هٰذِهِ القبائل التُّركيَّة الأصل تتوسَّع في مجالات الجوار الفارسيّ والأناضوليّ، هناك كوَّنت دويلاتها الَّتي تطوَّرت إلى إمبراطوريَّات قويَّة ذات نفوذ مجالي عقدي كبير. وكانت قوَّتهما الضَّاربة متمثِّلة في العنصر القبليّ التُّركماني[30].

[28] محمَّد رضا وصفي، التَّفاعل بين الإسلام والمسيحيَّة في إيران: العهد .....(1501-1722م) (بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلاميّ، 2015)، 125-138-139.

[29] Hassan Pirouzdjou, Mithraïsme et Emancipation : Anthropologie sociale et culturelle des mouvements populaires en Iran, Au ville 9 et 14 début du 16 eme siècle, L.Hartmanttan, 1999, p. 163-164

[30] محمَّد رضا وصفي، التَّفاعل بين الإسلام والمسيحيَّة، 131-140.

وفي مقابل أتون هٰذِهِ الصِّراعات على النُّفوذ تعرَّض الأناضول والقزلباش[31] والشِّيعة لاضطهاد عثماني[32].

[31] كلمة تركيَّة تعني الرَّأس الأحمر. و"القِزِل باش" هم ميليشيا من الصُّوفيَّة المتشيِّعة الَّذين شكَّلوا عماد الجيش الصَّفويّ، وساهموا في تأسيس الدَّولة الصَّفويَّة في بداية القرن العاشر الهجريّ (السَّادس عشر الميلاديّ) وقد سُمُّوا بذٰلك نسبة إلى القبَّعات أو القلنسوات الحمر الَّتي كانوا يلفُّونها على رؤوسهم، وتحتوي على 12 طيَّة أو لفَّة، إشارة للأئمَّة الاثني عشر. ويبيّن د. حسن الجاف في كتابه "الوجيز في تاريخ إيران" أنَّ حيدر الصَّفويَّ (والد إسماعيل أوَّل ملوك الدَّولة الصَّفويَّة) هو أوَّل قائد صفويّ نظَّم جيش القِزِل باش، وجهَّزه بالعُدَد اللَّازمة.

وبعد وفاة حيدر، استمرَّ اعتماد ابنه إسماعيل على القِزلباش وتقريبهم، بل ادَّعى أنَّ عليًّا هو الَّذي أوصاه بالاستعانة بهم لتأسيس الدَّولة الصَّفويَّة الشِّيعيَّة. يقول الباحث الشِّيعيُّ أحمد الكاتب في كتابه "تطوُّر الفكر السِّياسيّ الشِّيعيّ" عن إسماعيل الصَّفويّ: "وبينما كان ذات يومٍ مع رفقائه الصُّوفيَّة خارجين للصَّيد في منطقة تبريز، مرُّوا بنهر، فطالبهم بالتَّوقُّف عنده، وعبَر هو النَّهر بمفرده، ودخل كهفًا.. ثمَّ خرج متقلِّدًا بسيف، وأخبر رفقاءه أنَّه شاهد في الكهف صاحب الزَّمان، وأنَّه قال له: (لقد حان وقت الخروج).. وادَّعى بعد ذٰلك أنَّه شاهد الإمام عليَّ بن أبي طالب في المنام وأنَّه حثَّه على القيام وإعلان الدَّولة الشِّيعيَّة، وقال له بالحرف الواحد: (ابني.. لا تدَع القلق يشوِّش أفكارك.. أحضِر القِزلباشيَّة مع أسلحتهم الكاملة إلى المسجد وأؤمرهم أن يحاصروا النَّاس.. وإذا أبدى هٰؤلاء أيَّة معارضة أثناء الخطبة باسم أهل البيت فإنَّ الجنود ينهون الأمر).. وهٰكذا فعل الشَّاب إسماعيل.. حيث أحضر القِزلباشيَّة، وحاصر جامع تبريز ذات جمعة، وأعلن سيادة المذهب الإماميّ الاثني عشريّ، وقيام الدَّولة الصَّفويَّة". وعن الأهمِّيَّة الَّتي كان يوليها إسماعيل الصَّفويُّ لقوَّات القزلباش، يقول د. الجاف: "كان الشَّاه إسماعيل يدير أموره على أساس أنَّ القوَّة السِّياسيَّة يجب أن تعتمد على قوَّة عسكريَّة مخلصة تربطها وشائج عقائديَّة متينة تجعلها مستعدَّة كلَّ الاستعداد للاستماتة في الدِّفاع عن معتقداتها وقائدها، فكان جيش القزل باش خير معين له في تنفيذ أهدافه المنشودة في الاستيلاء على المدن والولايات الإيرانيَّة كافَّة الواحدة تلو الأخرى". للتَّفاصيل انظر: Moojan, Momen. *An Introduction to Shi'i Islam*, Yale Univ. Press, 1985, pp. 101-107; الكاتب، أحمد. تطوُّر الفكر السِّياسي الشِّيعي من الشُّورى إلى ولاية الفقيه. ط3، لندن: دار الشُّورى، 2005، 25-26.

[32] إسكندر بك منشي، تاريخ عالم آراى عبَّاسي، تصحيح محمَّد إسماعيل رضواني، طهران 1988، ص89.

وهنا نستنتج كيف استولد شيوخ الفضائيَّات من الخطِّ السَّلفي خطاب القرنَين 15 و 16 بين قبائل التُّركمان بفرعيهم الصَّفويِّ والعثمانيِّ لإذكاء نار الأحقاد بين مكوِّنات المجتمع الواحد لذٰلك كان "الأنا" الأشعري[33] القابض على زمام الحكم في محطَّات كثيرة من التَّاريخ الإسلاميِّ والمسيطر على لفيف من العلماء والمؤرِّخين وفقهاء البلاط بفتاويهم الجاهزة. فمن جملة المواقف الَّتي كانت في بدايات القرن الخامس الهجري تلك المحاضر في بغداد والَّتي أجبر عليها قضاة وأشراف ووجهاء المجتمع البغدادي للتَّشكيك في نسب فاطميِّي القاهرة واعتبارهم عُبيديِّين لا صلة لهم بفاطمة الزَّهراء وأنَّ أصولهم يهوديَّة[34]. وهٰذا لا يمنع أنَّ الآخر (الشِّيعي/الرَّافضي) كانت له مواقف معادية ووظَّف خطابه في المنظومة الدِّعائيَّة الموجَّهة لاستحضار خطاب عدوانيٍّ ضدَّ الآخر (الأشعري/ السُّنِّي (السَّلفي) المخاصم له.

II. "الآخر" ضمن مرجعيَّات السُّلطة ومحازبها: الشِّيعة/ الرَّوافض مثالًا

في حقيقة الأمر إنَّ استحضار خطاب الماضي لم يكن مقتصرًا على "الأنا"، بل حتَّى الآخر وظَّف هٰذِهِ الذَّاكرة والتَّاريخ ضمن خطابه التَّحريضيِّ فأخرجوا من عمق أرحام المصادر المختلفة تمثُّلًا لتاريخ آنيٍّ للماضي؟

وإن كان الكلُّ متهمًا بِهٰذا الاستحضار والتَّمثُّل لأحداث الماضي وعمد الطَّرف الأخير (الآخر) على تجسيمه في كلِّ المناسبات، فأحداث غدير خُمٍّ والسَّقيفَة وحروب الفتنة الأولى الَّتي أطلقت شرارتها بمقتل الخليفة الثَّالث عثمان بن عفَّان (23–35هـ) وانتهت باغتيال عليِّ بن

[33] في المرحلة الحاليَّة يعدُّ الأشاعرة في حالة دفاع عن النَّفس لأنَّ الطَّرف الَّذي تبنَّى الفكر التَّيموي (نسبة لابن تيمية) السَّلفي وعمل على تكفير كلِّ من يخالفه الرَّأي. وإن كان طرحنا في هٰذا البحث عبارة عن حفريَّات لخطاب الكراهيَة واستحضاره في أتون الأزمات السِّياسيَّة الحاليَّة.

[34] المحضر الأوَّل سنة 402هـ/ 1011م راجع ابن الجوزي، المنتظَم في تاريخ الملوك والأمم، حيدر آباد الدِّكن 1357-1359 هـ، ج7، ص255. المحضر الثَّاني سنة 444هـ/1052م، الذَّهبي، العِبر في خبر من غبر، تحقيق أيمن فؤاد سيِّد، الكويت، ج3، ص204.

أبي طالب (35 /40هـ)، وحادثة تسميم الحسن بن علي بن أبي طالب، وفاجعة كربلاء واستباحة المدينة المنوَّرة العاصمة الإسلاميَّة الأولى ومرقد النَّبيّ محمَّد في عهد يزيد بن معاوية وضرب الكعبة بالمنجنيق؛ كلُّ هٰذِهِ الأحداث تتعايش يوميًّا في الذَّاكرة الشّيعيَّة الجماعيَّة، فمراسم المحفل العاشورائيّ من أوَّل ليلة في شهر محرَّم إلى يوم العاشر كلُّها إحياء ونبش غبار عن تلك الذَّاكرة الَّتي تتعايش مع الوجدان الشّيعي، ولو قمنا بتأمُّل تاريخيّ حول العلاقة بين ماضي الأشياء المتذكَّرة، وحاضر الأشياء الظَّاهرة في ذٰلِكَ التَّمثُّل الصَّعب للماضي لوجدنا القدّيس أوغسطين من أوائل الممهّدين لذٰلك[35].

لأنَّ العُرف الإنساني يشدُّه حنين إلى ذٰلِكَ الماضي وفي خضمّ هٰذا النَّوع من الصّراعات عملت الجماعات المنضوية تحت عبادة أو مظلَّة "الآخر" للدّفاع عنها ضدَّ ذٰلِكَ الخصم المذهبيّ والسّياسيّ الَّذي أطلق عليه لفظ النَّاصبي (نواصب)، ناهيك عن ردَّات الفعل الَّتي تفنَّن فيها "رواديد" (المنشدين) المجالس الحسينيَّة وخطباء عاشوراء في وصف الخلفاء ولعنهم (السّياسي)، أو موقفهم من أمّ المؤمنين السَّيّدة عائشة الَّتي خرجت بموقف سياسيّ ضدَّ الخليفة الرَّابع عليّ بن أبي طالب مع الصحابيَّين الزُّبير بن العوَّام، وطلحة بن عبيد الله، فحتَّى السّجالات الإعلاميَّة بين مشايخ الإسلام بفرعيهِ السُّنّي والشّيعي، وما تفرَّز عنه من هجمات متبادلة واختراق هٰذا الصّراع العالم الإلكتروني. والأخطر تلك الرَّسائل السّياسيَّة والدّينيَّة من "الأنا" السُّنّي للآخر الشّيعي وسبب تلك الشَّيطنَة "الشّيعي" من قبل السُّلطان - كما ذُكِر آنفًا- أنَّ مرجعيَّتها سياسيَّة، لذٰلك وظِّفت في معارك التَّشويه كلُّ الأساليب والمناهج، والغريب في الأمر أنَّ الطَّرف الشّيعيَّ (الرَّافضيَّ) استخدم طرقًا علميَّة لتعرية وكشف أحداثًا ما زالت تحتاج لبحث ولمداد علميّ رصين، علَّه يزيل بعض ألبسة التَّاريخي، وإن كان من الصَّعب خلق روح جديدة للعيش المشترك في المرحلة الحاليَّة على الأقلّ.

35) Saint augustin, Confessions, Livres VIII-XIII, paris, dexlee de brouwer, 1962, Oeuvres de saint Augustin, 14, 556-572.

وبالعودة للآخر (الشِّيعي) في خطابه ضدَّ الآخر (الأنا /السُّنِّي)، فإنَّ أدبيَّات الشِّيعة حفلت بالعديد من التَّسميات ضدَّهم كالفرقة "العمريَّة"[36]، ووصف بني "أميَّة" "بالشَّجرة الملعونة"[37]. ويعتبرونه الخطَّ السَّلفيَّ الوهَّابيَّ، وأنَّهم الأمويُّون الجدد.

كَذٰلِكَ الاتّهامات الَّتي يوردها دعاة الإعلام الدِّيني لخصومهم بأنَّهم أدوات بيد أمريكا (الشَّيطان الأكبر)، وإذا أراد الباحث أو المدقِّق أن يتابع تلك المحطَّات الَّتي عمل فيها الطَّرف الإماميُّ/الشِّيعيُّ في توظيف خطاب الماضي وما روَّجته مصادر أسلافهم في الدِّعاية المضادَّة لخصومهم، وهنا أوجد الشَّارع (المشرّع) الإمامي لفظة "العامَّة"[38] وهي في ظاهرها لتجنُّب ذكر جمهور أهل السُّنَّة لٰكِنْ في حقيقتها للحطِّ من قدرهم ووزنهم وحضورهم العلميّ، مقارنة بعلم الأئمَّة من آل بيت النَّبيّ محمَّد[39].

ومن تلك الأساليب الَّتي يرى عموم المسلمين السُّنَّة مرفوضة، واعتبرها حجَّة ضدَّ الشِّيعة (الرَّافضة) هي مسألة سبِّ الصَّحابة عمومًا والخلفاء الرَّاشدين الأوائل (أبي بكر، عمر، عثمان) على وجه التَّحديد، وموقفهم من أمِّ المؤمنين السَّيِّدة عائشة بنت أبي بكر، سواء في

[36] نسبة للخليفة عمر بن الخطَّاب.

[37] يرجى متابعة الإعلام الفضائي الدِّيني في العراق وإيران من خلال متابعة شخصيَّة للإعلام الدِّيني في المجال المذهبي الإمامي. رابط قناة الكوثر:/http://www.alkawthartv.com.

[38] العامَّة: وهم الجمهور من بسطاء النَّاس وممَّن عمت عنهم الحقائق والمدرسة الأندلسيَّة تفنَّنت في هٰذا المصطلح وإخراجاته كما أنَّ بغداد العبَّاسيَّة عرفت أصنافًا سكَّانيَّة منهم العامَّة والَّتي يُطلق عليها بالدَّهماء، العامري (محمَّد بن يوسف ت 381)، الإعلام بمناقب الإسلام، تحقيق أحمد عبد الحميد غراب، القاهرة ،1967، 175.

[39] القاضي النُّعمان المغربي (ت 363)، كتاب المجالس والمسايرات، تحقيق محمَّد البعلاوي وآخرون (د.م.: دار الغرب الإسلامي، 1997)، توجد إشارات مختلفة عن العامَّة والمقصود بهم أهل السُّنَّة.

حادثة الإفك[40] والأخطر، هو خروج السَّيِّدة عائشة مع الثُّلاثي: ابن اختها عبد الله بن الزُّبير[41] والزُّبير بن العوَّام ورفيقه طلحة بن عبيد الله، وهو الخروج السِّياسي الأوَّل ضدَّ عليّ بن أبي طالب بمعركة الجمل[42] وهنا نقرأ دخول المرأة في الإسلام المبكِّر في أتون الصِّراعات والنِّزاعات السِّياسيَّة.

فحرب الجمل الَّتي قادتها أمُّ المؤمنين كما ذهب المؤرِّخ التُّونسي راضي دغفوس، هي مشروع للسَّيِّدة عائشة على إعادة الخلافة في نسل أبي بكر الصِّدِّيق[43].

بينما نرى أنَّ آل العوَّامِ- وهم من أفخاذ قريش- كان لهم مشروعهم السِّياسيُّ قبل الإسلام، حيث طالبوا أن يكون لهم مشاركة في حكم مكَّة [44] مع الثُّنائي العشائري بني عبد شمس وبني عبد مناف والَّذي تطوَّر إلى صراع تاريخيٍّ في أعقابهم[45].

---

[40] القرآن الكريم: سورة النُّور (24: 11).

[41] وهو ابن اختها وربيبها، وكان ينسب إليها بأمِّ عبد الله لأنَّها ربَّته (كانت السَّيِّدة عائشة لا تنفكُّ تطلب منه أن يُكنّيها فوجد النَّبي في عبد الله ابن أختها خير منقذ من هٰذا المأزق هابة. للتَّفاصيل انظر: ابن سعد، الطَّبقات الكبرى، دار الفكر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، 1994، ص8-64.

[42] "اطلبوا بدم عثمان تعزُّوا الإسلام "وإنَّ عثمان قُتل مظلومًا وإنَّ الأمر لا يستقيم لِهٰذِهِ الغوغاء. الطَّبري، تاريخ الطَّبري، ج4، ص449–450.

[43] ضمن دروس الأستاذ راضي دغفوس في شهادة الدِّراسات المعمَّقة للعام الجامعي 1996-1997 أشار إلى أنَّ تدخُّل السَّيِّدة عائشة في مجرى الأحداث ما هو إلَّا للتَّسويق لابن أختها أسماء عبد الله بن الزُّبير.

[44] عثمان بن الحويرث الملقَّب بالبطريق ومنحه لقب بطريق (بطريراك)، رتبة دينيَّة، وهي دليل أنَّه كان على النَّصرانيَّة قدم على قيصر ورغَّبه في ضمِّ مكَّة لتكون زيادة في ملكه، الزُّبير بن بكَّار، الأخبار الموفَّقيَّات، بغداد، 1972، ص425.

[45] المقريزي، النِّزاع والتَّخاصم فيما بين بني أميَّة وبني هاشم، مصدر سابق.

إذن، وظّف الشّيعة اللّعن من على منابرهم ضدَّ خصوم الأئمَّة ومن حرمَ نسلَ النَّبيّ وأحفاده من حقوقهم وميراثهم[46].

في عهد الخليفة الأمويّ عمر بن عبد العزيز أزال عديد المظالم الّتي حدثت في عهد أسلافه ضدَّ ذُرّيَّة وأحفاد النَّبيّ محمَّد[47]. هٰذِهِ الأحداث التّاريخيَّة وكلُّ الفواجع من كربلاء الحسين، وما حدث من تمثيل وتنكيل بذرّيَّة النَّبيّ محمَّد في تلك الفاجعة، الّتي تعدُّ نقطة سوداء في عصر يزيد بن معاوية بشكل خاصٍّ والدَّولة الأمويَّة عمومًا.

وكيف اعتبر يزيد انتقامه من الحسين هو الثَّأر لأجداده في يوم بدر، وقد تمثَّل يزيد ذٰلِكَ الموقف بترديد أبيات عبدالله ابن الزِّبَعْرى:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسلْ

فقتلنا الضِّعف من أشياخهم وعدلنا ميل بدر فاعتدلْ[48]

---

[46] ميراث فَدَك، طالبت به السَّيِّدة فاطمة الزَّهراء فردَّه الخليفة الأوَّل أبوبكر لبيت المال واعتبر أنَّ ميراث الأنبياء هو ملك للدَّولة ونفس الحالة في عهد عمر، احتجَّ جمهور أئمَّة الشّيعة أنَّ الأنبياء يورّثون من ذٰلك ورث سليمان داوود.

راجع عبد الله الغريفي، التَّشيُّع (بيروت: مؤسَّسة العارف للمطبوعات، 2000)، 187-196.

[47] من ذٰلك ألغى كلَّ تلك الأعراف الّتي ابتدعها أسلافه في عهد معاوية حتَّى عهد سليمان بن عبد الملك من لعن لعليٍّ وذرّيّته من أعلى المنابر الرّسميَّة في الجمعة والأعياد والحجّ، كذٰلك ردَّ فدك لذرّيَّة فاطمة بقوله "كان لأبي بكر وعمر رأي ولي رأي فكانت من نصيب علي بن الحسين (المعروف بزين العابدين وهو رابع الأئمَّة عند الإسماعيليَّة والاثني عشريَة).

راجع ابن الجوزي، سيرة ومناقب عمر بن العزيز، دراسة وتحقيق السَّيِّد الجميلي (بيروت: دار مكتبة الهداية، 1988).

[48] الأصفهاني مقاتل الطَّالبيّين، شرح وتحقيق السَّيِّد أحمد صقر (بيروت: منشورات مؤسَّسة الأعلمي، 1987)، 119.

وهو امتداد توّج بنصر يزيد لأحداث الفتنة الكبرى، ومعركة صفّين فإنَّ مجازر كربلاء رغم بشاعتها نصرٌ أمويٌّ بامتياز[49].

واستحضر الخطاب التَّحريضيُّ الشِّيعيُّ غزو الجيش الأمويّ للمدينة المنوَّرة سنة 63هـ واستباحتها ثلاثًا[50] وفي تكلُّس هٰذِهِ الأحداث، وما خلَّفته من تشويش فكريّ في الذِّهنيَّات الإسلاميَّة حتَّى أصبحنا نرى خطابًا تبريريًّا لأعمال السُّلطة آنذاك، باعتبار أنَّ الخروج على الإمام مهما كان (ولو أسود زبيبة) يعدُّ محرَّمًا، وأنَّ عمل يزيد بالحسين أو ما وقع في الحرَّة أو ضرب الكعبة بالمنجنيق مبرَّرٌ ومشرَّعٌ عند فقهاء السَّلاطين[51]

ممَّا جعل المخيال الشِّيعي يتفَّنن في إطلاق تسمية النَّواصب لكلّ الخطِّ السِّياسيّ ومنظِّريه باعتبارهم ناصبوا آل بيت النَّبيّ العداء[52].

وهٰذه المنازعات بين السُّنَّة والشِّيعة في العالم الإسلامي بقيت حيَّة، خاصَّة في تطوُّرات أحداث الرَّبيع العربي الدَّامية، والَّتي استُغلَّت في قضايا خلافيَّة عفَّى عليها الزَّمن، زادت الصَّدع والشَّرخ بين أبناء الشَّعب الواحد، والغريب في الأمر لم تكن مواضيع الخلافة والإمامة ومشاكل السَّقيفة والفتن الطَّاحنة في التَّاريخ الإسلامي المبكّر موضوع اهتمام تلك الشُّعوب والنُّخب المتطلِّعة لرغد عيش وكرامة وحرِّيَّات في مجتمع متعدِّد ومتنوّع فكريًّا وثقافيًّا، والأخطر من كلّ ذٰلِكَ كان الطَّابور الخامس من مثقَّفي الفضائيَّات و"عرَّابي" الأزمات هم العنصر الفعَّال في هٰذِهِ الحرب الضَّروس.

---

[49] لوط بن يحيى أبو مخنف، كتاب المقتل (بيروت: د.ن، 1983)، 125.

[50] الطَّبري، تاريخ الطَّبري، ج.5، 489.

[51] راجع أبو بكر بن العربي في العواصم من القواصم، 450–457.

[52] يوجد عمل جماعيٌّ أعدَّه، صاغية، حازم، نواصب وروافض: منازعات السُّنَّة والشِّيعة في العالم الإسلامي اليوم، دار السَّاقي ،2009، على سبيل الملاحظة: فإنَّ هٰذا العمل الجماعيَّ فيه آراء غير دقيقة خاصَّة فيما هو خلافي.

فهناك العديد من المفكّرين والباحثين في علم الأديان غالبًا ما يخدمون أجندات أجنبيَّة غايتها تأجيج الحرائق المشتعلة، والجاهزة للاشتعال في بؤر غلبت النَّزعة الدِّينيَّة فيها على كلّ أصناف الحياة المدنيَّة.

ففي العراق حيث كانت أنظمة الاستبداد تاريخيًّا غير طائفيَّة، نجد شبح الطَّائفيَّة القاتل والمدمّر يقضي على كلّ تلك الأسس للعيش المشترك بين مكوّنات العرق الواحد العرب السُّنَّة والعرب الشِّيعة، وقسم هامٌّ من عرب كلا المذهبَين نزع مذهبيًّا للدَّولة الطَّائفيَّة المدَّعية حماية تلك المجموعة الدِّينيَّة لدرجة تصل حدَّ الوصاية على قرارها السِّياسي.

فالأمويُّون حضروا بقوَّة في الخطاب الشِّيعي وأطلقوا عليهم اسم "الشَّجرة الملعونة" ونبشوا حتَّى في أنسابهم التَّاريخيَّة بغضِّ النَّظر عن وثوقيَّتها، وتشكَّكوا في أنساب الأمويّين أو حتَّى في عروبيَّتهم وقرشيَّتهم[53] .

وأصبحت بكائيَّات الشِّيعة أيَّام المواسم في شهر محرَّم والحضور العاشورائي، سواء عبر المنابر الحسينيَّة أو في إعادة تمثيل المشهد، سواء بتلك القراءات الرَّسميَّة لنهضة الحسين وخروجه وما حدث له ولآل بيته، واعتبر المخيال الجمعيُّ لعامَّة الشِّيعة أنَّ الصَّمت السُّنِّيَّ لأحداث 61 هـ، هو بحدِّ ذاته جريمة ما لم يسجَّل اعتذار أو تكفير، وإن كان هٰذا الخطاب يمثِّل أقلِّيَّة بعض الغلاة شديدي الالتصاق بالماضي، في استحضارهم لتلك الفظاعات أو في شتائمهم لشخوص ذات وزن تاريخيٍّ عند السُّنَّة بخطَّيهما الأشعريّ والسَّلفي.

[53] راجع برنامج حقائق من التَّاريخ على قناة الكوثر الفضائيَّة حيث كانت لي تدخُّلات فيما هو تاريخي وعلمي في محاولة لعقلنة كتابة التَّاريخ بعيدًا عن تقديس الأحداث وشخوصها.

تاريخ البرنامج جويلية – سبتمبر 2018: 14 حصَّة.

موقع القناة: http://www.alkawthartv.com/

وروابط الحلقات: http://www.alkawthartv.com/episode/65431

وفي ختام هٰذا العنصر لا بدَّ من التَّنويه من أنَّ الطَّرف الشِّيعيَّ يقدِّم محاولات تقريبيَّة بين المذاهب، في رسائل تحمل طابعًا دينيًّا، وَلٰكِنْ ذات عمق سياسيٍّ كمنع شتم الصَّحابة أو قذف أمِّ المؤمنين، كَذٰلِكَ في عدم التَّطرُّق لما هو خلافي وتأجيجي للفتن.

III. خطاب الإعلام: صراعات الأنا والآخر "نماذج من الفضائيَّات"

في تحليل الخطاب تتداخل عديد العناصر والمفاهيم حتَّى المستجدَّات والطَّوارئ لِذٰلِكَ لا نجد تلاؤمًا بينهما. وَهٰذا بحدِّ ذاته دافع للعمل في العثور على مستوى أكثر عمقًا لمبدإٍ ارتباطيٍّ ينظِّم الخطاب ويعدُّه إلى خطِّة الأوَّل[54]، ومن هٰذا المنطلق وفي خضمِّ هٰذا العراك الإعلاميِّ الفضائيِّ بصيغته الطَّائفيَّة وليس الثَّقافيَّة، وفي حفريَّاتنا التَّأصيليَّة بخطاب الأنا والآخر عبر محطَّات التَّاريخ إلى اليوم، لا بدَّ من تغيير الخطاب التَّاريخيِّ بخطاب توازنيٍّ وتقريبيٍّ بقراءات أكثر إيجابيَّة.

وفي خضمِّ هٰذا الهَوَس بالإعلام الفضائيِّ وخاصَّة في الفترة الحاليَّة نجد حفرًا في الذَّاكرة، حيث أصبحت الأخيرة أسيرة من يحدِّد استخراج معلوماتها وكشف وثائقها من كهوف التَّقيَّة أو غياهب النِّسيان، والأغرب أنَّ النِّسيان انتقائيٌّ وزجَّ به في عالم فضائيَّات الدِّين، بل إنَّ مثل هٰذِهِ البرامج تنتج "خياليَّة تاريخيَّة" وهي مصدر ينهل منه "كتبة التَّاريخ" و"قوَّالوه"[55].

وهنا نجد أنَّ "الرَّغبة" الملحَّة في المعرفة التَّاريخيَّة وفعل التَّذكُّر متفوِّقان على المعرفة التَّاريخيَّة ذاتها، متميِّزان عنها، حيث يكون الماضي مفتوحًا دائمًا من أجل إعادة تشكيل المستقبل من "فعل التَّذكُّر"[56].

---

[54] ميشيل فوكُو، حفريَّات المعرفة، ترجمة سالم يفوت (الدَّار البيضاء: المركز العربي الثَّقافي، 2015)، 138 (بتصرُّف).

[55] القُوَّال: هم المتقوِّلون أو المتكلِّمون بأحداث الماضي بدون دقَّة ولا مراجعة علميَّة.

[56] كيت ميتشل، التَّاريخ والذَّاكرة الثَّقافيَّة في الرِّواية الفكتوريَّة الجديدة، ترجمة أماني أبو رحمة (دمشق: دار نينوى، 2015)، 8.

وَبِهٰذا المنطلق التَّنظيري عن تأثيرات الخطاب وكيفيَّة توظيف أحداث التَّاريخ بل أسطرتها، وتخيُّلها لخدمة أجندة معيَّنة وتاريخ الأسلاف والرُّواة وثيقة هامَّة لنا، فما بالك بعد ثورة الاتِّصالات، ونقل الخبر وتناقله فقنوات الإعلام العربيّ منذ سنة 2011 تشهد مخاضًا ضرب مصداقيَّة قنوات وعدليَّة ووثوقيَّة دعاة ومشايخ الدِّين، خاصَّة في الخطِّ السَّلفيّ أو من يحملون مشروعًا سياسيًّا "مشايخ الإسلام السِّياسي، ضمن " اتِّحاد علماء المسلمين"[57]

ورابطة علماء المسلمين وهو تابع للإخوان المسلمين، ونفس الشَّيء نجده في الخطِّ الإماميّ الشِّيعيّ في ردوده ومواقفه من خصومه من السُّنَّة عمومًا والسَّلفيّين بشكل خاصّ.

لأنَّ خطابهم المعلَن ضدَّ الآخر إقصائيٌّ وتكفيريٌّ وعمل دعاتهم عبر الفضائيَّات على استباحة دماء كلّ من يخالفهم من الرَّافضة والمسيحيّين وغيرهم من الأقلِّيَّات، والأخطر أنَّ فتاويهم بُثَّت عبر الفضائيَّات والمواقع الاجتماعيَّة. فسيِّد قطب أو القرضاوي بآرائهما يعتبران المسلمين بمثابة مشركي مكَّة عند البعثة (610-622م) أي إنَّ من آمن بها دخل في الدِّين الجديد (الإسلام) ومن لم يؤمن بها فهو من الجاهلين (مشركين) والكفرة دمهم حلال[58].

فهٰذه الآراء والفتاوى أجَّجت صراع المكوِّنات الثَّقافيَّة والمذهبيَّة بين أفراد الشَّعب الواحد.

فَهٰذا الخطاب الدِّيني المبشِّر بروح الكراهيَة وثقافة الإقصاء والتَّحريض لم يهتمَّ لمسائل العبادات والشَّعائر الدِّينيَّة وتفقيه العامَّة بأمور العبادة، وَهٰذا التَّعريف للخطاب الدِّيني البسيط في الإعلام:[59]«Le Discours Religieux de L'information».

أمَّا الخطاب الدِّينيُّ الفتنويُّ في الإعلام، فمع الأحداث الَّتي تشهدها المنطقة العربيَّة منذ سنة 2011 ووتيرة الخطاب الدِّينيّ التَّحريضيّ في تضخُّم، حيث قفز عدد القنوات الفضائيَّة

---

[57] موقعها على الإنترنت: Muslim scholars Association

على الرَّابط التَّالي: https://www.globalsecurity.org/military/world/iraq/ams.htm

[58] معتزّ الخطيب، سيِّد قطب والتَّكفير في الإسلام (دمشق: دار حوران، 2003)، 70.

[59] نصر الدِّين لعياضي، "الخطاب الطَّائفي في الفضائيَّات الدِّينيَّة: "كلفة الخلاف وتداعياته"، مقال نشر ضمن ندوات مركز الجزيرة للدِّراسات ،7 أكتوبر 2015، 1.

النَّاطقة بالعربيَّة ذات النَّفَس والخطاب الدِّينيّ من 35 قناة في سنة 2009 إلى 135 قناة في سنة 2013[60] والعدد في تزايد، حيث بلغ أكثر من 150 قناة حسب إحصائيَّات مواقع اجتماعيَّة سنة 2014[61]، وهو في تعاظم بشكل غريب جدًّا، ومن الصَّعب القيام بإحصاء دقيق لها، حتَّى إنَّ بعضها لا يعمّر طويلًا لأسباب مادِّيَّة وسياسيَّة وغيرها[62] والمادَّة المقدَّمة للجمهور بكلِّ أصنافه صَبٌّ مزيد من الزَّيت على نار الصِّراعات السِّياسيَّة بين أنظمة الحكم في منطقة الشَّرق الأدنى القديم (الشَّرق الأوسط الحالي)، شبه الجزيرة العربيَّة بكلِّ دولها ومنطقة الهلال الخصيب (مصر، بلاد الشَّام والعراق) حتَّى العمق الإيراني، فَنَكْءُ أحداث وأزمات الماضي منذ أكثر من 14 قرنًا يمنحها المبرّر الدِّيني والتَّاريخي للاستمرار[63]، وفرض نظام اجتماعيٍّ وحياتيٍّ جديد بين مكوّنات الشَّعب الواحد.

فكان العنف الدِّيني بين المكوّنات الثَّقافيَّة للشَّعب الواحد هو المتفشِّي بين "الفرقاء" بشكل وحشيٍّ، وهو نتاج ذٰلِكَ الخطاب الدِّيني بلباسه الطَّائفي في الفضائيَّات الدِّينيَّة العربيَّة، وهي متعدِّدة البرامج ومتنوّعة الأسماء من عمق التَّاريخ: (كربلاء، والأهواز السُّنِّيَّة، وأهل البيت، والفيحاء، والغدير، واقرأ، والوصال، والكوثر)، وبحكم المباحث التَّاريخيَّة لأحداث الفترة السَّابقة للإسلام وصدره، كانت لي مشاركة علميَّة في برنامج حوار، كان التَّخصُّص هو العنصر الأساس في مثل هٰذِهِ المواضيع الحسَّاسة بقناة الكوثر في برنامج "حقائق من التَّاريخ" والطَّرف المقابل كان من الإماميَّة (شيعي)، ومن خلال الحوار استشففْت أنَّه محقِّق في المباحث الدِّينيَّة، حيث كان خطابه فيه تحامل على شخصيَّات ماتت واندرست قبورها.

---

[60] نصر الدِّين لعياضي، "الخطاب الطَّائفي في الفضائيَّات الدِّينيَّة: "كلفة الخلاف وتداعياته"، مرجع سابق، 3.

[61] حسين العودات، "القنوات الفضائيَّة الإسلاميَّة"، موقع البيان الإلكتروني، 15 سبتمبر 2014، الرَّابط: https://www.albayan.ae/five-senses/heritage

[62] نصر الدِّين لعياضي، "الخطاب الطائفي في الفضائيَّات الدِّينيَّة: كلفة الخلاف وتداعياته"، مرجع سابق، 5.

[63] ن.م.، 2.

وقد عرَّجنا في الصَّفحات السَّابقة في "الأنا" (السُّنِّي/الأشعري-السَّلَفي)، والآخر (الإمامي/الشِّيعي)، في تنقيبهم على مرجعيَّات مصطلحيَّة ومفاهيميَّة وظَّفها فرقاء الإسلام الاجتهادي بشكل طائفي[64].

1. قراءة مفاهيميَّة لطائفة: في العربيَّة ترجع اللَّفظة للجماعة ولم ترتبط في جذرها اللُّغويِّ بأيِّ جماعة دينيَّة أو مذهبيَّة[65]، وإذا عدنا لابن منظور فنجد "الطَّائفيَّة من الشَّيء جزء منه، وفي القرآن نجده كلمة طائفة[66].

يقال طائفة من النَّاس وطائفة من اللَّيل[67]، وهنا فليس من باب المصادفة أنَّ مصطلح "الطَّائفة" يستعمل مثل الفترة المعاصرة، حيث يعنى التَّجمُّع أو التَّجميع والتَّجزئة في نفس الوقت[68]، لذا كان المقصود من مصطلح الطَّائفة: فئات من النَّاس على أساس الانقسام إلى جماعات مميَّزة دينيًّا أو مذهبيًّا وحتَّى مهنيًّا، حيث نجد طوائف الحِرف والحِرفيِّين[69].

---

[64] وكتوضيح أكثر ينتشر في الوعي اليوميّ والخطاب الإعلاميّ العربيّ تمييز بين الطَّائفيَّة والمذهبيَّة باعتبار الأولى في علاقة تبعيَّة لطائفيَّة دينيَّة من بين طوائف عدَّة، والثَّانية علاقة تبعيَّة لجماعة مذهبيَّة من ضمن مذاهب عدَّة في إطار دين بعينه، بشارة، عزمي، الطَّائفة، الطَّائفيَّة، الطَّوائف المتخيَّلة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السِّياسات، الدَّوحة، 2018، 99.

[65] عزمي بشارة، الطَّائفة، الطَّائفيَّة، الطَّوائف المتخيَّلة، مرجع سابق، 103.

[66] القرآن الكريم (ذكرت في مواضع عديدة نذكر منها على سبيل المثال:" ودَّت طائفة من أهل الكتاب لو يضلُّونكم"، سورة آل عمران (3: 69).

[67] مادَّة (ط، و، ف)، لسان العرب. ج.9. (بيروت: دار صادر، 2005)، 160-161.

[68] بشارة عزمي، الطَّائفة، الطَّائفيَّة، الطَّوائف المتخيَّلة، مرجع سابق، 103.

[69] ن.م.، 103-104.

وبالعودة لاستعمالات المصطلح في اللُّغة العربيَّة فإنَّه كان مجهولًا وغير مستعمل (الطَّائفيَّة) إلَّا في الفترة الحديثة[70]، لأنَّه في الأصل كان يعني مجموعة من البشر بمعنى جماعة، وهو غير مستجيب للمعنى في أبعاده الدِّينيَّة والمذهبيَّة[71].

2. الخطاب الطَّائفي في الإعلام الفضائي:

أشارت الدِّراسة الحاليَّة في الصَّفحات السَّابقة إلى الخطاب في الإعلام الدِّيني، وبيَّنت أنَّه نوع من المقاربة المعرفيَّة في تاريخه ومرجعيَّته، هٰذا الخطاب التَّحريضيُّ: الرَّافض لأيِّ نوع من الاختلاف أو التَّواصل أو حتَّى الحوار والعيش المشترك، وفي هٰذِهِ الحالة يتجسَّد الصِّراع الطَّائفيُّ بكلِّ تمظهراته لفرض سلطة ثيوقراطيَّة[72].

لِذٰلِكَ كانت كلُّ الموارد المادِّيَّة الرَّمزيَّة مُجنَّدة لخدمة هٰذِهِ السُّلطة المشرعنَة لنظام سياسيٍّ معيَّن، وبالتَّالي الهيمنة على المجال الرُّوحي في حدوده، وأبعاده القدسيَّة فقناة "النَّاس" الَّتي تقدِّم برامج الدَّاعية محمَّد حسَّان جعلت منه شخصيَّة ذات زعامة غير عاديَّة، ولو التفتنا قليلًا إلى ذٰلِكَ المهرجان الخطابيّ في ملعب القاهرة الَّذي أشرف عليه الرَّئيس المصري السَّابق "محمَّد مرسي العيَّاط"[73]، حيث كان لِهٰذا الدَّاعية موقف تكفيريٌّ لنظام الحكم في سوريَّا بشكل خاصٍّ، والشِّيعة عمومًا. الأمر الَّذي سبَّب أعمال عنف في بعض المدن والأحياء المصريَّة ضدَّ الأقلِّيَّة الشِّيعيَّة المصريَّة، فقد تمَّ سحل المواطن المصري

[70] عزمي بشارة، الطَّائفة، الطَّائفيَّة، الطَّوائف المتخيَّلة، مرجع سابق، 104.

[71] Bearman .P.J, « Taifa » E I2 , vol. 10 , 137 – 138

[72] ميشال فوكُو، نظام الخطاب، ترجمة محمَّد سبيلا (المغرب: دار التَّنوير، 2007)، 5.

[73] حيث أعلن صراحة وبتحريض غير عادي على الجهاد ضدَّ النِّظام السُّوري وبدعم من الخطباء والدُّعاة، بتاريخ 15 جوان 2013،

الرَّابط على الإنترنت: https://www.youtube.com/watch?v=9kXjazKUbsQ

حسن شحاتة، والسَّبب موجات التَّكفير وخطاب الكراهيَة واستحضار أحداث الماضي وفقًا لأجندات هٰؤُلاءِ المشايخ[74].

فمقتل المواطن المصري حسن شحاتة لأنَّه شيعيُّ المذهب، والتَّحريض الإعلامي والطَّائفي يتَّهم الشِّيعة كفرقة تلعن الشَّيخَين أبي بكر وعمر، لِذٰلِكَ فإنَّ ما تقدِّمه الفضائيَّات الدِّينيَّة النَّاطقة بالعربيَّة يندرج فيما يطلق عليه علماء الاجتماع[75]، أداة لترويج نوعيَّة من الأفكار أو لدعم حملات سياسيَّة وثقافيَّة، أو لاجتذاب مصادر تمويل لحملات إعلاميَّة بشأن مواضيع تعدُّ محوريَّة[76]، وَهٰذا ما يجعل المادَّة الإخباريَّة الدِّينيَّة في الإعلام منساقة إلى درجة التَّورُّط في مشاكل سياسيَّة ذات أبعاد محلِّيَّة وإقليميَّة ودوليَّة[77]، وإذا خضنا غِمار الخطاب الممنهج للقنوات السُّنِّيَّة مثل "النَّاس" أو الشِّيعيَّة مثل "فَدَك" و"الكوثر" و"اقرأ" وكلِّ قناة من هٰذِهِ القنوات الأربع تحمل نَفَسًا مذهبيًّا وطائفيًّا معيَّنًا، وفيه نفث لخطاب كراهيَة للآخر كيف رسمته المصادر وفقهاء السُّلطة على مرِّ التَّاريخ من كلا الخصمَين "الشِّيعي" و"السُّنِّي" ورسموا

---

[74] الشَّيخ يوسف القرضاوي القطري الجنسيَّة، الدَّاعية المصري على قناة النَّاس محمَّد حسَّان وصفوت حجازي، راجع وهبة نجيب مجدي: مرسى يعلن الجهاد ضدَّ سوريًا ومصر، مجلَّة الحوار المتمدِّن بتاريخ 17 جوان 2013 الرَّابط: http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=343993&r=0 بتاريخ 2019/07/25 - بتوقيت 09:21:00.

وفيما يتعلَّق بسجلِّ المواطن المصري حسن شحاتة ومقتل 3 من رفقائه، كان ذٰلك يوم احتفالات الشِّيعة في العالم الإسلامي بميلاد الإمام المهدي (رقم 12) وكان موافق 23 جوان 2013، وتعود أحداث القصَّة إثر زيارة حسن شحاتة إلى منزل أحد الشِّيعة من سكَّان قرية "زاوية أبو مسلم" للاحتفال المذكور، وبسبب التَّحريض تمَّ الاعتداء على الشَّيخ حسن شحاتة وضربه حدَّ الموت بآلات حديديَّة وسحله بشوارع القرية، راجع تقرير منظَّمة "هيومنرايشووتش" نسخة محفوظة في 11 جوان 2015 على مواقع باك مشين.

[75] إنزوباشي، Enzo Pace، وسا بينو أكوافيفا / AquavivaSabinio.

[76] أكو فيفا، سابينووبانستيإنزيو، علم اجتماع الدِّيني: الإشكالات والسِّياقات، ترجمة عزِّ الدِّين عناية، هيئة أبو ظبي للثَّقافة والتُّراث، 2011، ص131.

[77] السُّويلمي، محمَّد، الإعلام الدِّيني العربي: الخلفيَّات والأهداف، مجلَّة ذوات. العدد 13، 2015، ص22.

جميعًا "الآخر" بملامحه وصفاته وأدواره، وربطوا أحداث الماضي بالحاضر، في قراءات ملغومة تفرّق ولا تجمع.

ففي قناة "النَّاس" كان خطاب محمَّد حسَّان التَّخريبي كما مرَّ معنا في ملعب القاهرة، وغيرها من المناسبات جعلت من الشِّيعة خصمًا، وعدوًّا مارقًا عن ربقة الدِّين وشيطنته كمذهب أو فرقة لخدمة أجندة سياسيَّة لا علاقة لها بما هو ديني اجتهادي في الإسلام، وفي عمليَّة الحفر التَّحليلي لِهٰذا الخطاب الدِّيني، وما رصدناه من تحليلات غير دقيقة في توظيف روايات الأحاديث كالبخاري[78] أو مدى وثوقيَّة أخبار أبي هريرة[79]،

علمًا أنَّ الأحاديث ورواتها قد تعرَّضت لقاعدة التَّعديل والتَّجريح في الماضي والحاضر، فشخصيَّة الصَّحابي: عبد الرَّحمٰن بن صخر بن دوس اليماني المعروف بأبي هريرة أصبحت محلَّ تجاذب وتشكيك في الرِّوايات الَّتي نقلها عن النَّبيِّ محمَّد في فترة زمنيَّة قصيرة لم تتجاوز السَّنتَين، حتَّى إنَّ الخليفة الثَّاني عمر بن الخطَّاب ضربه بدرّته لأنَّ أكثر الحديث عن الرَّسول[80] والغريب أنَّ أصحاب الخطِّ السَّلفي في قناة "النَّاس" أو قناة "اقرأ" لم يعرّجوا على علماء السُّنَّة الَّذين تحفَّظوا بعقلانيَّة الباحث من هٰذا الإسهاب في هٰذِهِ الوفرة من الأحاديث،

[78] يحتاج صحيح البخاري إلى إعادة قراءة وتدقيق خاصَّة أنَّ البحث العلميَّ الحاليَّ بدأنا نشهد فيه جرأة في القراءة والتَّحليل وهٰذا عنصر مهمٌّ جدًّا ومن بين الأعمال الَّتي تطرَّقت بشكل نقديٍّ لصحيح البخاري: أيلال، رشيد، صحيح البخاري نهاية أسطورة، منشورات سوتيميديا، 2018.

[79] من ذٰلك نذكر دراسة الباحث المغربي، مصطفى أبو هندي، أكثر أبو هريرة، الدَّار البيضاء، 2003: تعدُّ شخصيَّة أبي هريرة محلَّ تجاذب فهو من أكثر النَّاقلين لأحاديث النَّبي ويعدُّ من أهمّ المصادر في الفكر الإسلامي ومرجع مؤسِّس للثَّقافة العربيَّة الإسلاميَّة، فالشَّائع أنَّه روى بالأرقام 5470 حديثًا حسب رواية ابن الجوزي في كتابه الصَّادر عن دائرة المعارف العثمانيَّة بالهند، " تلقيح فهوم أهل الأثر" إلَّا أنَّ الباحث المغربي مصطفى أبو هندي أشار في مؤلَّفه السَّابق رواية ما يقارب 8740 حديثًا من جملة 62169 حديثًا، وهٰذا العدد وما شكَّله من شبهة لصاحبه يجعله محلَّ استفهام في عدالته.

[80] الشَّيخ الأزهري محمود أبو ريَّة (1889–1970)، أضواء على السُّنَّة المحمَّديَّة، أو دفاع عن الحديث، تقديم طٰه حسين، دار المعارف، القاهرة، ط. 6.

بينما كانت مواقف علماء الشّيعة في بعض الصَّحابة محلَّ شبهة في هٰذا الإعلام، فقناة من القنوات المحرّضة على التَّكفير، وواضح من هي الجهات الَّتي تحازبها من التَّيَّارات السَّلفيّة بشعاراتها "قناة النَّاس" شاشة تأخذك للجنَّة، وبالتَّالي من يشاهد غيرها فهو النَّار[81] وَهٰذا التَّحريض يطأ حتَّى المسلم من نفس المدرسة الفقهيَّة والعقديَّة الواحدة[82].

ومع قناة "النَّاس" الَّتي افتعلت من رحم المصادر الَّتي ما زالت تحتاج إلى تحقيق ومراجعة فتنًا مذهبيَّة كلُّها نفث لروح الكراهَة وشيطنة مقصودة للآخر برمزيَّته المذهبيَّة ففي تاريخ 12 من شهر ذي القعدة 1432 هـ قدَّم الدَّاعية أبو إسحاق الحويني محاضرة بعنوان "التَّحذير من خطر الشّيعة"[83]، فالمدُّ الطَّائفي من الخطِّ السَّلفي السُّنِي الَّذي عمل على تسويق هٰذا الخطاب التَّخويفي والإقصائي للآخر في الإسلام. وَهٰذا يتجاوز ما هو ديني وخلافي إلى ما هو طائفي. تجلبب بعباءة السِّياسة.

أمَّا القنوات الشّيعيَّة كـ "فدك[84]" و"الكوثر" فلكلٍّ منهما نشاطها وحراكها الخاصُّ، ففَدَك تعدُّ من الإعلام الشّيعيِّ الفضائيِّ الَّذي سلك مؤسّسه منحى تحريريًّا في قراءة أحداث التَّاريخ،

---

[81] محمَّد سيِّد ريَّان، "الإعلام الدِّيني بين الدَّعوة والتَّبشير وبثّ الفتن الطَّائفيَّة"، مجلَّة ذوات، العدد 13، 2015، 26. رابط قناة النَّاس:/http://www.elnas.tv

[82] ن.م.، 29.

[83] محمَّد السُّوَيلمي، "الإعلام الدِّيني" مرجع سابق، 22.

رابط الحلقة: https://www.youtube.com/watch?v=MNiGJpugiuc

[84]) فدك هي واحة تقع في الحجاز قرب مدينة خيْبَر في شبه الجزيرة العربيَّة. تقع في يومنا هٰذا في المملكة العربيَّة السُّعوديَّة. كان سكَّانها من الفلَّاحين اليهود، واشتهرت بزراعة القمح والتُّمور. أرسل النَّبيُّ محمَّد عليًّا بن أبي طالب لمحاربتهم في العام الخامس من الهجرة (628م) ثمَّ تمَّ مصالحتهم مقابل نصف أملاكهم الَّتي صارت للمسلمين، فبقوا في فدك إلى أن نفاهم عنها الخليفة الثَّاني عمر بن الخطَّاب أثناء خلافته إلى خارج حدود شبه الجزيرة العربيَّة. شكَّلت فدَك أزمة قويَّة بين فاطمة الزَّهراء وزوجها عليّ بن أبي طالب من جهة وأبي بكر الصِّدِّيق من جهة ثانية، فبعد وفاة النَّبيّ (11هـ/ 632م) طالبت فاطمة بحقِّها من تركة النَّبيّ في فَدَك وغيرها من الأملاك الَّتي تركها بعد وفاته، وليس له وريث إلَّا ابنته فاطمة. فرفض أبو بكر-

ومع ذٰلِكَ تدخل في المحظور على الذَّوق العامّ السُّنِّيّ، سواء في نقدهم للصَّحابة إلى درجة الشَّتم وتجريمهم بسبب موضوع الخلافة[85]، وقد تطرَّقنا إلى ذٰلِكَ في فصل الآخر (الشِّيعي) وكيف اتَّخذ أدواته التَّاريخيَّة في الإعلام الدِّيني الفضائي، وأصبح يميل إلى طرح القضايا والمواضيع الخلافيَّة مع الأغلبيَّة السُّنِّيَّة في العالم الإسلامي ممَّا أجَّج نيران الفتن الطَّائفيَّة[86]، فبالرَّغم من أنَّ المراجعة نفسها تحتاج لمزيد التَّحقيق والتَّوثيق، إلَّا أنَّ دُعاة هٰذِهِ القنوات يدَّعون امتلاك الحقيقة الَّتي عمل بعضهم على اصطناعها وفقًا لرؤيته الخاصَّة جدًّا، بل عملوا على تحميل المصادر، فوق طاقتها والمادَّة الَّتي تُبَثُّ عبر الإعلام الفضائيّ، خاصَّة في ذٰلِكَ الاستحضار لتراجيديا كربلاء، أو غدير خمّ[87]، وأحداث السَّقيفة، ولأنَّ عمليَّة تسويقها

الَّذي كان خليفة وحاكمًا للمسلمين بعد النَّبيّ- إعطاء فاطمة نصيبها من ميراث النَّبيّ وتركته بحجَّة أنَّ الأنبياء لا يورِّثون وأنَّ ما يتركونه يصبح صدقات لعامَّة المسلمين، وكان ردُّ أبي بكر على فاطمة كافيًا لإغضابها، فكان منها أن قاطعت أبا بكر ولم تكلِّمه إلى أن ماتت كما جاء في المصادر الشِّيعيَّة. يعتبر الشِّيعة منع فدك عن فاطمة وأولادها الأئمَّة ظلمًا وجورًا لحق آل البيت لتجريدهم من حقوقهم في ميراث النَّبيّ، وتلعب قضيَّة فدك دورًا هامًّا في المصادر الشِّيعيَّة الاثني عشريَّة الَّتي تتناول قضيَّة فدك بتفاصيلها لتضخيم معاناة عليٍّ وفاطمة أثناء حكم أبي بكر والخلفاء الأوائل في الإسلام. توجد العديد من الرِّوايات والأخبار الشِّيعيَّة المتعلِّقة بموضوع فدك وما سبَّبته من خلافات قديمة حاول الشِّيعة من خلالها التَّأكيد على ما عانوه من ظلم من غيرهم على مدى قرون طويلة. للتَّفاصيل انظر: البكريُّ الأندلسيُّ، عبد الله بن عبد العزيز. **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**. بيروت: دار الكتب العلميَّة، 1998، 3: 268؛ الطَّبريُّ، محمَّد بن جرير بن رستم. **دلائل الإمامة**. بيروت: مؤسَّسَة الأعلميّ، 1988، 31-39.

Lammens, Henri, *Fatima et les filles de Mahomet: notes critiques pour l'étude de la sira* (Romae: Sumptibus Pontificii Instituti Biblici, 1912), 113-114.

Vaglieri Veccia, "Fadak", *The Encyclopaedia of Islam*, New Edtion, II, 725-727.

[85] ذٰلِكَ الخلاف الأوَّل الَّذي وقع في سقيفة بني ساعدة بين ثلاثي المهاجرين والأنصار.

رابط قناة فدك: https://www.fadak.tv/

[86] محمَّد سيِّد ريَّان، "الإعلام الدِّيني بين الدَّعوة والتَّبشير وبثِّ الفتن الطَّائفيَّة، مرجع سابق، 31.

[87] غدير ماء يقع بين مكَّة والمدينة (في منتصف الطَّريق بينهما تقريبًا)، على بعد ثلاثة أميال من الجُحْفَة (المسمَّاة اليوم راغب) ويبُعُد عن مكَّة حوالي 157 كيلومترًا تقريبًا، أمَّا الجُحْفَة، فهي ميقات أهل الشَّام

تحتاج دربة ودراية في مثال تقمُّصي يلتزم بها[88]. ولأنَّ البناء الثَّقافي للسُّلطة على مرِّ تاريخها يقتضي أن تستَّر بشكل "كاريزمي"[89].

ومصر ومن مرَّ عليها، والَّتي يُحرِم منها الحجَّاج للحجِّ أو العُمرة. حدثت في هٰذا الغدير حادثة مهمَّة في السَّنة العاشرة للهجرة، حيث حجَّ النَّبيُّ حجَّته الأخيرة الَّتي تُعرَف بحجَّة الوداع وكان معه جمع غفير من النَّاس، ولمَّا قضى مناسكه عاد إلى المدينة وأثناء عودته وقف في غدير خمّ، في الثَّامن عشر من ذي الحجَّة، وألقى خطبته، وقال فيها: "من كنت مولاه فعليٌّ مولاه"، وتُعرف هٰذه المقولة لدى الشِّيعة بحديث الغدير. وتقول الشِّيعة إنَّ النَّبيَّ قصد بهٰذه الجملة تعيين عليٍّ بن أبي طالب خليفة على المسلمين بعد وفاته، بأمر من ربِّه بواسطة الملاك جبريل.

وتعتمد الشِّيعة على حديث الغدير لإثبات أحقِّيَّة عليٍّ بالخلافة. ويحيي الشِّيعة ذكرى حادثة غدير خمٍّ كلَّ عامٍ من الثَّامن عشر من ذي الحجَّة (الشَّهر 12 في التّقويم الهجري). وأوَّل من جعله عيدًا رسميًّا هو معزُّ الدَّولة أحمد بن بويه عام 943/352 في بغداد، وبعده بعشرة أعوام احتُفل بعيد الغدير في مصر زمن حكم الفاطميّين بأمر من المعزّ لدين الله الفاطميّ سنة 972/362. ويعتبر هٰذا العيد من أهمّ أعياد الشِّيعة، ويُسمَّى أيضًا "عيد الله الأكبر" و"عيد آل محمَّد (عليهم السَّلام)"، وأنَّ جميع الأنبياء عيَّدت هٰذا العيد وحفظت حرمته، وأنَّ اسم هٰذا العيد في السَّماء "يوم العهد المعهود" واسمه في الأرض "يوم الميثاق المأخوذ والجمع المشهود. يتعبَّد الشِّيعة بليلة عيد الغدير ويتزيَّنون بالملابس القشيبة، ويعملون الأعمال الصَّالحة ويصومون ويكثرون من الصَّلاة وينحرون الذَّبائح ويقيمون الولائم ويقرأون دعاءً خاصًّا بهٰذا اليوم، ويهنّئون بعضهم البعض. ويُستحبُّ زيارة مرقد الإمام عليٍّ بن أبي طالب في النَّجف بالزِّيارة المخصوصة، ويُستحبُّ كذٰلك الغسل، ويستحبُّ إجراء عقد التَّآخي بين الشِّيعة. للتَّفاصيل انظر: الأميني، محمَّد هادي. **عيد الغدير في عهد الفاطميّين**. طهران: مؤسَّسَة الآفاق، 1997/1417؛ عبد الحسين الأميني. **الغدير في الكتاب والسُّنَّة والأدب**. قُمّ: مؤسَّسَة دائرة الفقه الإسلامي، 2004، الجزء الأوَّل؛ الكرباسي، محمَّد صادق. **شريعة العيد**. بيروت: بيت العلم للنَّابهين، 2009، 57-59.

Veccia Vaglieri, L. "Ghadīr Khumm", *Encyclopaedia of Islam*, new edition, II, p. 993-994.

[88] محمَّد السُّويلمي، "الإعلام الدِّيني"، 22.

[89] Négre , Fabier « Du pouvoir dans la culture »,Quderni, N17, printemps, 1992, p.34 (بتصرُّف)؛ محمَّد السُّويلمي، ن.م.، 22.

لِذٰلِكَ كانت فَدَك وبعض القنوات الإماميَّة قد نهلت من ثقافة التَّاريخ في نحت شخصيَّة عليٍّ بن أبي طالب بشكل مثالي إلى درجة التَّأليه عند بعض الغلاة[90]، وإن كان هٰذا لا يعنى أَنَّ للشَّخص مكانته في الإسلام عالمًا وخليفة وإمامًا مرجعًا لكلّ المسلمين[91]، وَلٰكِنْ تلك المبالغات الَّتي يبثُّها هٰذا الإعلام الفضائي بنفَسه المذهبي الإقصائي لتجارب الخلافة السَّابقة لعليٍّ والَّتي يعدُّها انقلابيَّة بما حدث في السَّقيفَة[92] أمَّا القناة الَّتي كنت ضيفًا في ندوتها طيلة 14 حلقة حواريَّة وهي في قناة "الكوثر"[93]. قناة ذات مرجعيَّة شيعيَّة والموضوع المطروح لمدَّة تقارب 3 أشهر لبرنامج تاريخيٍّ، ولم يكن غايته طائفة وَهٰذا نستشفُّه من العنوان "حقائق من التَّاريخ"[94]، ومع ذٰلِكَ بدرت من الطَّرف المحاور، وحتَّى مُقدِّم البرنامج عبارات وخطاب فيها روح كراهيَّة ضدَّ الأمويّين، ونبش صراعات وفتن ومنازعات الماضي، وإن كنَّا تطرَّقنا لإعادة قراءة سليمة، وغير منحازة لأحداث الماضي، وأغلبيَّة المحاور الَّتي تمَّ طرقها من خلال المصادر السُّنِّيَّة انطلاقًا من كتاب المقريزي[95].

وكانت المواضيع محور التَّحليل والحوار:

---

(90) محمَّد النَّاصر صدِّيقي، تاريخ اليزيديَّة (اللَّاذقيَّة: دار الحوار، 2015)، 49-50.

(91) علي الوردي، دراسة في سوسيولوجيا الإسلام، الورَّاق، ترجمة رافد الأسدي، 2013، 162-163.

(92) ابن عبد ربّه، العقد الفريد. ج.4.(القاهرة: د.ن.، 1966)، 257.

(93)الموقع الإلكتروني الرَّابط :

https://www.youtube.com/results?search_query=%D8%AD%D9%82%D8%A7%D8%A6%D9%82+%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE+%D9%82%D9%86%D8%A7%D8%A9+%D8%A7%D9%84%D9%83%D9%88%D8%AB%D8%B1++2018+%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF+%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%A7%D8%B5%D8%B1+%D8%B5%D8%AF%D9%8A%D9%82%D9%8A

(94) رابط حلقات حقائق من التَّاريخ قناة الكوثر الفضائيَّة:

https://www.youtube.com/watch?v=X56B_1UXTug

(95) كتاب النِّزاع والتَّخاصم فيما بين بني أميَّة وبني هاشم، تحقيق د. حسين مؤنس (القاهرة: دار المعارف، 1984).

- شخصيَّة عبد المطَّلب جدِّ النَّبيِّ وهل مات مؤمنًا أو مشركًا؟
- قصَّة إسلام أبي طالب.
- السَّيِّدة آمنة أمُّ النّبيِّ محمَّد.
- الدِّيانات التَّوحيديَّة بمكَّة.
- دور الهواشم في رعاية وخدمة الكعبة في مقابل السُّلالة الأمويَّة.
- يزيد بن معاوية وقتله للحسين بن عليٍّ بن أبي طالب ومواقف ابن تيميَة المثيرة للجدل حول مقتل الحسين.
- وهل أنَّ يزيد بن معاوية كان من النَّواصب العاديّين لآل البيت؟

تمَّت مناقشة قراءة أبي بكر بن العربي المالكي (468-543 هـ) وهو من غلاة الظَّاهريَّة بالأندلس في كتابه الموسوم بِـ" العواصم من القواصم"[96] ذكر أنَّ الحسين لم يمتثل لأعلم أهل زمانه كعبد الله بن العبَّاس، ولم يستشر شيخ الصَّحابة آنذاك عبد الله بن عمر[97]، وما فعله يزيد بن معاوية يدخل في خانة الاستشهاد السِّياسيِّ لعدم شقِّ عصا الطَّاعة، بمعنى أدقَّ أنَّ الحسين قتل بسيف جدِّه النَّبيِّ محمَّد[98].

كما تعرَّضنا لموقف ابن تيمية الحرَّاني (661 – 728هـ) "اعتبر كلَّ من يدَّعي أنَّ يزيد كافر، وقتل الحسين ليثأر لأقاربه الكفَّار (قتلى بدر)، فهو كاذب مفتر"[99].

في معركة الجمَل نجح الطَّرف الشِّيعيُّ في صناعة الذَّاكرة باستحضار أحداث وخطاب الماضي لتسويقه حاضرًا، إلَّا أنَّ تلك النَّعرات الطَّائفيَّة تبقى حيَّة في وصف الأمويّين بِـ "الشَّجرة

---

[96] تحقيق عمَّار الطَّالبي، مكتبة دار التُّراث القاهرة.

[97] ابن العربي، العواصم والقواصم، 237–238.

[98] ن.م.، 238–246.

[99] المنتخب من التُّراث: شأن يزيد بن معاوية، تقديم عزيز العظمة (بيروت: دار رياض الرَّيّس، 1997)، 65-71.

الملعونة"، وغيرها من الشَّتائم، ربَّما في هٰذا البرنامج التَّوثيقي لأحداث تاريخيَّة تجاوزت أكثر من 14 قرنًا تلمَّستْ طرحًا علميًّا جادًّا لٰكِنْ أفسدته تلك الأحقاد التَّاريخيَّة في قراءات تزيد الهوَّة والشَّرخ بين "العامَّة".

وفي "اللَّا علميَّة" و"اللَّا موضوعيَّة" الذَّاتيَّة المُنحازة، عندها تغدو العواطف والشَّتائم أقوى من الحجَّة التَّاريخيَّة والحقيقة العلميَّة.

الخاتمة

كان حضور الذَّاكرة في الإعلام الدِّيني المسيَّس و"الفتنويّ" -خاصَّة إبَّان الأزمات الكبرى أو المفتعلة منذ الثَّورة الإيرانيَّة إلى الآن، وحدَّة الخطاب الطَّائفي في نسق تصاعديٍّ- من بين كلا المكوّنَين الكبيرين في الإسلام الاجتهادي، وعمل لفيف من كتبة الفريقَين (السُّنِّي والشِّيعي) في إذكاء نار الأحقاد، والغريب أنَّ الخلاف السِّياسي في صدر الإسلام منذ يوم السَّقيفة ومقتل "الخليفة الأسنِّ" عثمان، وخروج أمِّ المؤمنين في الجمَل وما حدث في صفِّين والتَّحكيم، وصولًا إلى كربلاء، كلُّها مستحضرة ، فالأرفاض "الرَّافضة" و"المجوس" وأبناء المُتعة، حيَّة في الحياة اليوميَّة في الخطاب السُّنِّي، وما استحضرته الذَّاكرة الشِّيعيَّة ضدَّ الأمويّين بدرجة عالية والشَّيخَين، وثلاثي الجمل وأمِّ المؤمنين جعل من الذَّاكرة الشِّيعيَّة حيَّة سواء في إحياء لمواسم عاشوراء، بمجملها صناعة وتوظيف للذَّاكرة، نجح الإعلام الدِّيني بثوبه الطَّائفي في الزَّجِّ بها في تطاحن وإفساد العيش المشترك بين أفراد الشَّعب الواحد، فكلَّما ازداد النِّزاع السِّياسي بين الدُّول الإقليميَّة؛ إيران والسُّعوديَّة أو الحروب الأهليَّة المرتبطة بأجندات خارجيَّة يحتدم الخطاب التَّكفيري.

وكانت هٰذه القنوات الدِّينيَّة الشَّوكة الضَّاربة في تغذية هٰذِهِ النِّزاعات، فعمامات رجال الدِّين: في أحيان كثيرة لها وقع كبير في التَّطاحن الطَّائفي أقوى بكثير من خوذات العسكر، ويبقى السُّؤال المطروح إلى متى سيستمرُّ هٰذا النَّهج في إفساد وضرب العيش المشترك وتداخل المقدَّس بالمدنَّس والنَّاسوتي باللَّاهوتي؟!!.

متى تتضافر جهود العقلاء في قراءة سليمة لتاريخ ما زال يحتاج لكتابات علميَّة وموضوعيَّة وعقلانيَّة بعيدًا عن ذٰلك التَّقديس للتَّاريخ وشخوصه، كما يقتضي العيش المشترك إعادة صياغة خطاب دينيّ واعيًا ومبشِّرًا لثقافة جديدة تقرِّب الجميع.